البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل

كتبه

محمد بيومى

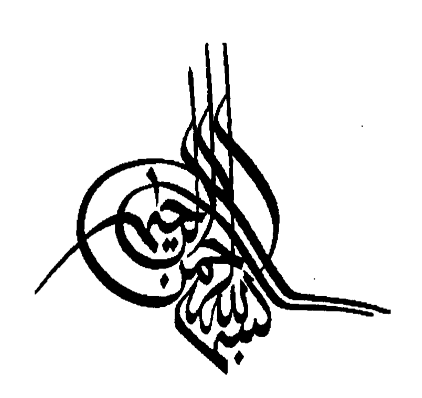
مكتبة الإيمان . المنصورة

ت/ ٢٢٥٧٨٨٢

مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ذكر القرآن الكريم، أن البشارة بنبي الإسلام، قد وردت في التوراة والإنجيل.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾[1].

قال الخازن: «يعني: يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم، ولكن اليهود كتموا ذلك وبدَّلوه وغيَّروه حسداً منهم له، وخوفاً على زوال رياستهم ببعثة محمد ﷺ، وقد حصل ما كانوا يخافونه. فقد زالت رياستهم، ووقعوا في الذلِّ والهوان بعد بعثته ﷺ».

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2].

قال ابن كثير: «يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾؛ يعني: اليهود. ﴿كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾؛ وهو: القرآن الذي أُنزل على محمد ﷺ، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني: من التوراة. وقوله: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم، يقولون: إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم... عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن يهوداً كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة - رضي الله عنهم -: يا معشر يهود! اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته. فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٩

بالذي كنّا نذكرُ لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ...﴾... الآية.

وقال أبو العالية: كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب، يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم. فلما بعث الله محمداً ﷺ ورأوا أنه من غيرهم، كفروا به حسداً للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1].

ومع كل هذا الجحود والإنكار من اليهود والنصارى لنبوة النبي ﷺ، إلا أن كتبهم التي يقدسونها [التوراة والإنجيل]، وبالرغم ما تعرَّضا له من عبث وتبديل، إلا أنه ما زال فيهما بعض النصوص التي تصرح باسم النبي ﷺ، وتبشر بمجيئه على لسان موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ.

وهذا ما سأذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ في هذا الكتاب، كما سأذكر أقوال بعض علماء اليهود والنصارى، واعترافهم بمجيء النبي ﷺ. وأنه الرسول الذي بَشَّرَ به موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ في التوراة والإنجيل.

والهدف من وراء هذا الكتاب: هو أن يعلم الناس جميعاً، مدى عظمة الرسول ﷺ، فتزداد محبته في قلوب أتباعه.

وأمَّا الذين لم يؤمنوا بالنبي ﷺ فلعلهم ينتهون عن غيِّهم ويعودون إلى صوابهم، ويؤمنون ببشارة أنبيائهم التي وردت في كتبهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩. وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤).

الباب الأول

أسماء النبي محمد ﷺ ومعانيها

أسماء النبي ﷺ ومعانيها

عن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ : أنَّ النبي ﷺ قال: **«أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يُمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحْشَرُ الناس على عقبي، وأنا العاقب»**. والعاقب: الذي ليس بعده نبي[(١)].

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ **يُسَمِّى لَنَا نفسه** أسماء، فقال: **«أنا محمد، وأحمد، والمقفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»**[(٢)].

وأسماؤه ﷺ كلها ـ نعوت ليسَت أعلاماً محضة لمجرد التعريف به ـ بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال.

وأسماؤه ﷺ نوعان:

أحدهما: خاص لا يُشاركه فيه غيره من الرسل؛ كمحمد، وأحمد، والعاقب، والحاشر، والمقفى، ونبي الملحمة.

والثاني: ما يشاركهُ في معناه غيره من الرسل، ولكن له منه كماله، فهو مختص بكماله دون أصله؛ كرسول الله، ونبيه، وعبده، والشاهد، والمبشِّر، والنذير، ونبي الرحمة، ونبي التوبة.

وأمَّا من جعل له من كل وصف من أوصافه اسم، تجاوزت أسماؤه المائتين؛ كالصادق والمصدوق، والرءوف الرحيم، إلى أمثال ذلك.

وفي هذا قال من قال من الناس: إن لله ألف اسم، وللنبي ﷺ ألف اسم، قاله أبو الخطاب بن دُحية. ومقصوده: الأوصاف[(٣)].

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه البخاري في «المناقب» (٣٥٣٢)، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ. ومسلم في «الفضائل» (٦٠٥٨)، باب في أسمائه ﷺ.

(٢) رواه مسلم في «الفضائل» (٦٠٦١)، باب في أسمائه ﷺ.

(٣) «زاد المعاد» (١/٥٣ ـ ٥٤)، بتحقيقي.

محمد

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: هذا الاسم، هو أشهر أسمائه ﷺ. وهو اسم منقول من الحمد. وهو في الأصل: اسم مفعول من الحمد. وهو يتضمن الثناء المحمود ومحبته وإجلاله وتعظيمه، هذا هو حقيقة الحمد، وبُني على زنة «مُفعَّل» مثل: معظم، ومحبب، ومسود، ومبجل ونظائرها؛ لأن هذا البناء موضوع للتكثير. فإنْ اشتُقَّ منه اسم فاعل، فمعناه من كثر صدور الفعل منه مرة بعد مرة... وإن اشتق منه اسم مفعول، فمعناه من كثير تكرر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى؛ إما استحقاقاً أو وقوعاً. فمحمد هو الذي كثر حمد الحامدين له مرة بعد أخرى أو الذي يستحق أن يحمد مرة بعد أخرى.

ويُقال: حمد فهو محمد، كما يقال: علم فهو معلم. وهذا علم وصفة اجتمع فيه الأمران في حقه ﷺ، وإن كان علماً مختصاً في حق كثير ممن تسمَّى به وغيره.

وهذا شأن أسماء الرب تعالى، وأسماء كتابه، وأسماء نبيه، فهي أعلام دالَّة على معانٍ هي بها أوصاف فلا تُضَاد فيها العلمية الوصف، بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين فهو الله، الخالق، البارئ، المصور، القهار. فهذه أسماء له دالَّة على معانٍ هي صفاته، وكذلك القرآن، والفرقان، والكتاب المبين، وغير ذلك من أسمائه.

وكذلك أسماء النبي ﷺ «محمد، وأحمد، والماحي...». فذكر رسول الله ﷺ هذه الأسماء، مبيناً ما خصَّه الله به من الفضل، وأشار إلى معانيها. وإلا، فلو كانت أعلاماً محضة لا معنى لها، لم تدلّ على مدح، ولهذا قال حسان ـ رضي الله عنه ـ:

وشَــقَّ له من اسمــه ليُجِلَّه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمــدٌ

... إذا ثبت هذا، فتسميته ﷺ بهذا الاسم لِمَا اشتملَ عليه من مُسمَّاه وهو الحمد، فإنه ﷺ محمود عند الله، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه

من المرسلين، ومحمود عند أهل الأرض كلهم - وإن كفر به بعضُهم - فإنَّ ما فيه من صفات الكمال محمودة عند كل عاقل، وإن كابر عقله جحوداً وعناداً وجهلاً باتصافه بها، ولو علم اتصافه بها لحمدهُ، فإنه يُحمد من اتصف بصفات الكمال ويجهل وجودها فيه، فهو في الحقيقة حامد لهُ وهو ﷺ اختصَّ من مسمَّى الحمد بما لم يجتمع لغيره، فإن اسمه محمد وأحمد، وأمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء، وصلاته وصلاةُ أمته مفتتحة بالحمد، وخُطبته مفتتحة بالحمد، وكتابه مفتتح بالحمد... هكذا عند الله في اللوح المحفوظ أن خلفاءه وأصحابه يكتبون المصحف مفتتحاً بالحمد، وبيده ﷺ لواء الحمد يوم القيامة، ولمَّا يسجد بين يدي ربه عز وجل للشفاعة ويؤذن له فيها، يحمد ربه بمحامد يفتحها عليه حينئذٍ، وهو صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[١].

ومن أحب الوقوف على معنى المقام المحمود، فليقف على ما ذكره سلف الأمة من الصحابة والتابعين فيه في تفسير هذه السورة...

وإذا قام في ذلك المقام، حمده حينئذ أهلُ الموقف كلهم - مسلمهم وكافرهم، أولهم وآخرهم - وهو محمود ﷺ بما يملأ به الأرض من الهدى والإيمان والعلم النافع. والعمل الصالح، وفتح به القلوب وكشف به الظلمة عن أهل الأرض واستنقذهم من أسر الشياطين، ومن الشرك بالله والكفر به والجهل به، حتى نال أتباعُه شرف الدنيا والآخرة. فإن رسالته وافت أهل الأرض أحوج ما كانوا إليها، فإنهم كانوا عُبَّاد أوثان وعُبَّاد صلبَان وعُبَّاد نيران وعُبَّاد الكواكب، ومغضوب عليهم قد باءوا بغضب من الله، وحيران لا يعرفُ رباً يعبدهُ ولا بماذا يعبده، والناس يأكل بعضهم بعضاً، من استحسن شيئاً دعا إليه وقاتل مَنْ خَالَفَه، وليس في الأرض موضع قدم مشرق بنور الرسالة، وقد نظر الله - سبحانه - إلى أهل الأرض فمقتهم - عربهم وعجمهم - إلاَّ بقايا على آثار دين صحيح، فأغاث الله به البلاد والعباد، وكشف به تلك الظُّلَم، وأحيا به الخليقة بعد الموت، فهدى به من

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

الضلالة، وعلم به من الجهالة، وكثَّر به بعد القلة، وأعزَّ به بعد الذلَّة، وأغنى به بعد العيلة، وفتح به أعيناً عُمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً، فعرف الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة، وأبدأ وأعاد، واختصر وأطنب في ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، حتى تجلّت معرفتُه ـ سبحانه ـ في قلوب عباده المؤمنين وانجابت سحائب الشك والريب عنها كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة إبداره، ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف لا إلى من قبله ولا إلى من بعده، بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل من تكلَّم في هذا الباب ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

. . . وعرفهم الطريق الموصّل لهم إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته، ولم يدع حسناً إلا أمرهم به، ولا قبيحاً إلا نهاهم عنه، كما قال ﷺ: **«ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلاَّ وقد أمرتكم به، ولا من شيء يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه»**[2].

. . . وعرفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف، فكشف الأمر وأوضحه، ولم يدع باباً من العلم النافع للعباد المقرّب لهم إلى ربهم إلا فتحه، ولا مشكلاً إلا بيَّنه وشرحه حتى هدى الله به القلوب من ضلالها وشفاها به من أسقامها، وأغاثها به من جهلها، فأي بشر أحق بأن يحمد منه ﷺ وجزاه عن أمته أفضل الجزاء؟!

ومما يحمد عليه ﷺ: ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشِّيَم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ، علم أنها خير أخلاق. فإنه ﷺ كان أعلم الخلق وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثاً، وأجودهم، وأسخاهم، وأشدهم احتمالاً، وأعظمهم عفواً ومغفرة، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حِلْماً، كما روى الإمام البخاري في «صحيحه»: عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة: **«محمد عبدي ورسولي، سميته المتوكل، ليس**

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥١.

(٢) حديث صحيح. رواه: الإمام أحمد (٥/١٥٣)، والطبراني في «الكبير» (٢/١٥٥ ـ ١٥٦). وابن حبان (٧١ ـ موارد الظمآن).

بفظ ولا غليظ، ولا سخَّاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً، حتى يقولوا لا إله إلا الله»[١].

وأرحم الخلق وأرأفهم بهم، وأعظم الخلق نفعاً لهم في دينهم ودنياهم، وأفصح خلق الله، وأحسنهم تعبيراً عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمَّة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعاً، وأعظمهم إيثاراً على نفسه، وأشد الخلق ذبًا عن أصحابه وحمايته لهم ودفاعاً عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، وأوصل الخلق لرَحِمِه، فهو أحق بقول القائل:

بَرْدٌ على الأدنى ومرحمـــةٌ وعلى الأعـــادي ما زنٌ جَلَد

. . . فلما كان رسول الله ﷺ مشتملاً على ما يقتضي أن يحمده مرة بعد مرة، سُمِّي محمداً.

وهو اسم موافق لمسماه، ولفظ مطابق لمعناه[٢].

ولهذا ـ والله أعلم ـ سُمِّي به في التوراة؛ لكثرة الخصال المحمودة التي وُصِفَ بها هو ودينه وأمته في التوراة[٣].

* وورد اسم «محمد» في القرآن الكريم:

ورد اسم النبي ﷺ بلفظ «محمد» في أربع آيات، وهي:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٤].

---

(١) رواه البخاري في «التفسير» (٨/ ٥٨٥)، وأحمد (٢/ ١٧٤).

(٢) «جلاء الأفهام»، ابن القيم ص(١٠٥ ـ ١١٢) بتحقيقي.

(٣) «زاد المعاد» (١/ ٥٥) بتحقيقي.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

٢ ـ قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾(١).

٣ ـ قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً﴾(٢).

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾(٣).

* * *

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٣) سورة محمد، الآية: ٢.

أحمـــــد

أحمد: اسم على زنة أفعل التفضيل، مشتق أيضاً من الحمد[١].

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (والفرق بين «محمد» و«أحمد» من وجهين:

أحدهما: أن «محمداً» هو المحمود حمداً بعد حمد، فهو دال على كثرة حمد الحامدين له؛ وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه، و«أحمد» أفعل تفضيل من الحمد يدل على أن الحمد الذي يستحقه أفضل مما يستحقه غيره، فـ «محمد» زيادة حمد في الكمية، و«أحمد» زيادة في الكيفية، فيحمد أكثر حمد وأفضل حمدٍ حَمِدَه البشر.

والوجه الثاني: أن «محمداً» هو المحمود حمداً متكرراً ـ كما تقدَّم ـ، و«أحمد» هو الذي حمدُه لربه أفضل من حمد الحامدين غيره، فدلَّ أحد الاسمين وهو «محمد» على كونه محموداً، ودلَّ الاسم الثاني وهو «أحمد» على كونه أحمد الحامدين لربه)[٢].

قلت: وقد رجَّح الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ الوجه الأول، وهو: أن النبي ﷺ مستحق لكثرة الحمد وأفضله، فقال بعد كلام له: (فلنرجع إلى المقصود، وهو أنه ﷺ سُمِّيَ «محمداً» ، و«أحمد»؛ لأنه يُحْمَدُ أكثر مما يُحْمَدُ غيره، وأفضل مما يُحْمَدُ غيره، فالاسمان واقعان على المفعول [يعني: الحمد]. وهذا هو المختار؛ وذلك أبلغ في مدحه وأتم معنى، ولو أُريدَ به معنى الفاعل [يعني: أحمد]، لسُمِّيَ الحماد، وهو كثير الحمد. كما سمي «محمداً» وهو المحمود كثيراً، فإنه ﷺ كان أكثر الخلق حمداً لربه، فلو كان اسمه باعتبار الفاعل، لكان الأولى أن يُسمى «حماداً» كما أن اسم أمته الحمادون، وأيضاً فإن الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه

---

(١) «زاد المعاد» (١/ ٥٥) بتحقيقي.

(٢) «جلاء الأفهام» ص (١١٢ ـ ١١٣).

وخصائله المحمودة التي لأجلها استحق أن يُسمى «محمداً» و«أحمداً» فهو الذي يحمده أهل الدنيا وأهل الآخرة، ويحمده أهل السماء والأرض. فلكثرة خصائله المحمودة التي تفوت عد العادِّين، سمّيَ باسمين من أسماء الحمد يقتضيان التفضيل والزيادة في القَدْرِ والصفة، والله أعلم)[1].

❊ لماذا ذكر المسيح ـ عليه السلام ـ النبي ﷺ باسم «أحمد» وليس باسم «محمد»؟

لقد بشَّر المسيح ـ ﷺ ـ أمته بمجيء النبي ﷺ من بعده. ولقد ذكر لهم اسم النبي ﷺ في هذه البشارة بأنه «أحمد»، كما في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ... ﴾**[2].

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (عُرِفَ عند أمة المسيح بـ «أحمد» الذي يستحق أن يُحمَدَ أفضل مما يحمد غيره، والذي حمده أفضل من حمد غيره، فإن أمة المسيح لهم من الرياضات والأخلاق والعبادات ما ليس لأمة موسى، ولهذا كان غالب كتابهم مواعظ وزهد وأخلاق وحض على الإحسان والاحتمال والصفح حتى قيل: **إن الشرائع ثلاثة:**

شريعة عدل: وهي شريعة التوراة، فيها الحكم والقصاص.

وشريعة فضل: وهي شريعة الإنجيل مشتملة على العفو ومكارم الأخلاق والصفح والإحسان كقوله: «من أخذ رداءك فأعطه ثوبك، ومن لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، ومن سخَّرك ميلاً فامش معه ميلين»... ونحو ذلك.

وشريعة جمعت هذا وهذا: وهي شريعة القرآن، فإنه يذكر العدل ويوجبه، والفضل ويندب إليه، كقوله: **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**[3].

---

(١) «جلاء الأفهام» ص (١١٥ ـ ١١٦).

(٢) سورة الصف، الآية: ٦.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

فجاء اسمه عند هذه الأمة بأفعل التفضيل الدَّال على الفضل والكمال، كما جاءت شريعتهم بالفضل المكمل لشريعة التوراة. وجاء في الكتاب الجامع لمحاسن الكتب قبله[1] بالاسمين معاً. فتدبَّر هذا الفضل، وتبيَّن ارتباط المعاني بأسمائها ومناسبتها لها)[2].

* * *

الماحي

الماحي: هو الذي محا الله به الكفر، ولم يُمحَ الكفر بأحد من الخلق ما مُحِيَ بالنبي ﷺ، فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفَّار، إلا بقايا من أهل الكتاب، وهم ما بين عُبَّاد أوثان، ويهود مغضوب عليهم، ونصارى ضالِّين، وصابئة دهرية، لا يعرفون ربًّا ولا معاداً، وبين عُبَّاد الكواكب وعُبَّاد النار، وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء، ولا يُقِرُّونَ بها، فمحا الله ـ سبحانه ـ برسوله ﷺ ذلك حتى ظهر دينُ الله على كل دين، وبلغ دينُه ما بلغ الليل والنهار، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار[1].

❊ ❊ ❊

(١) «زاد المعاد» (١/ ٥٨).

الحاشـــر

الحشر: هو الضمّ والجمع، فهو الذي يُحشر الناس على قدمه، فكأنه بُعِثَ ليحشر الناس(١).

والمعنى: أن الناس «يُحشرُونَ على أثري، وزمان بنوتي ورسالتي، وليس بعدي نبي»(٢).

* * *

(١) «زاد المعاد» (١/٥٨).

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/١٠٥)، ط دار المعارف، بيروت.

العاقب

العاقب: الذي جاء عقيب الأنبياء، فليس بعده نبي، فإنه العاقب هو الآخر، فهو بمنزلة الْخَاتَم، ولهذا سُمِّيَ: «العاقب» على الإطلاق؛ أي: عقب الأنبياء، جاء بعقبهم[1].

* * *

(١) «زاد المعاد» (١/ ٥٨).

المقفى

المقفى: هو الذي قفَّى على آثار من تقدّمه، فقفَّى الله به على آثار من سبقه من الرسل، وهذه اللفظة مشتقة من القفو، يُقال: قفاه يقفوه: إذا تأخر عنه، ومنه: قافية الرأس، وقافية البيت، فالمقفِّي: الذي قفى من قبل من الرسل، فكان خاتمهم وآخرهم[1].

* * *

(١) «زاد المعاد» (١/٥٩).

نبي التوبة

أما نبي التوبة: فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض، فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله. وكان ﷺ أكثر الناس استغفاراً وتوبة، حتى كانوا يَعُدُّون له في المجلس الواحد مائة مرة: «**رب اغفر لي وتبْ عَلَيَّ إنك أنت التواب الغفور**»[1].

وكان يقول: «**يا أيها الناس! توبوا إلى الله ربكم، فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**»[2].

وكذلك توبةُ أمته أكمل من توبة سائر الأمم، وأسرع قبولاً، وأسهل تناولاً، وكانت توبة من قبلهم من أصعب الأشياء، حتى كان من توبة بني إسرائيل من عبدة العجل قتلُ أنفسهم. وأمَّا هذه الأمة، فلكرامتها على الله تعالى، جعل توبتها الندم والإقلاع[3].

* * *

(١) حديث صحيح. رواه: الإمام أحمد (٢/ ٢١، ٦٧)، وأبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٣٨١٤).

(٢) رواه: مسلم في «الدعوات» (٦٣١)، باب «استحباب الاستغفار والاستكثار منه».

(٣) «زاد المعاد» (١/ ٥٩).

نبي الملحمة

سمي النبي ﷺ بـ «نبي الملحمة»؛ لأنه بعث بالقتال. فـ «هو الذي بعث بجهاد أعداء الله، فلم يجاهد نبي وأمته قط مثلما جاهد رسول الله ﷺ وأُمَّته. والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار، لم يُعهد مثلها قبله، فإن أمته يقتلون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار. وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمَّةٌ سواهم[1].

* * *

(١) «زاد المعاد» (١/ ٥٩).

نبي المرحمة

وأمَّا نبى المرحمة: فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فرحم به أهل الأرض كلَّهم، مؤمنهم وكافرَهم.

أمَّا المؤمنون: فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة.

وأمَّا الكفار: فأهل الكتاب منهم، عاشوا في ظله، وتحت حبله وعهده.

وأمَّا من قتله منهم هو وأمته، فإنهم عجلوا به إلى النار، وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدَّة العذاب في الآخرة[1].

* * *

الفاتح

وأمَّا الفاتح: فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مُرْتجا، وفتح به الأعين العمي، والآذان الصم، والقلوب الغلف، وفتح الله به أمصار الكفار، وفتح به أبواب الجنة، وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح، ففتح به الدنيا والآخرة والقلوب والأسماع والأبصار والأمصار.

* * *

الأمين

وأمَّا الأمين: فهو أحق العالمين بهذا الاسم. فهو أمين الله على وحيه ودينه، وهو أمينُ مَنْ في السماء، وأمين مَنْ في الأرض، ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة «الأمين».

* * *

---

(١) «زاد المعاد» (١/٥٩).

الضحوك القتَّال

وأمَّا الضحوك القتَّال: فاسمان مزدوجان، لا يفرد أحدهما على الآخر. فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين، غيرُ عابس، ولا مقطِّب، ولا غضوب، ولا فظٌّ، قتَّال لأعداء الله، لا تأخذه فيهم لومة لائم.

***

البشير

وأمَّا البشير: فهو المبشِّر لمن أطاعه بالثواب، والنذير المنذر لمن عصاه بالعقاب.

وقد سمَّاه الله: «عبدَه» في مواضع من كتابه، منها:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...﴾[4].

وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**»[5].

***

(١) سورة الجن، الآية: ١٩.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٣) سورة النجم، الآية: ١٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٥) حديث حسن. رواه: الإمام أحمد (٣/٢)، والترمذي (٣٢٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ . وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. ولكن يشهد له حديث عبد الله بن سلام. رواه: أبو يعلى (٧٤٩٣)، وابن حبان (٦٤٧٨ ـ إحسان)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٩٣).

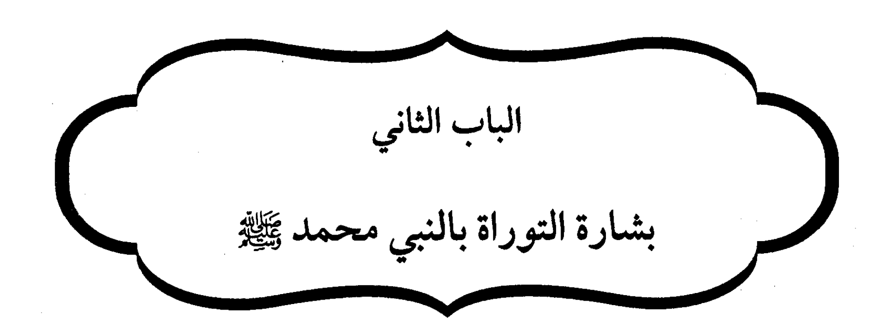
وسمَّاه الله: ﴿سِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[(١)]. وسمى الشمس: سراجاً وهَّاجاً.

و«المنير»: هو الذي ينير من غير إحراق بخلاف الوهَّاج، فإن فيه نوعَ إحراق وتوهُّج[(٢)].

* * *

(١) قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ـ٤٦].

(٢) «زاد المعاد» (١/ ٦٠).


الباب الثاني
بشارة التوراة بالنبي محمد ﷺ

بشارة التوراة [١] بالنبي محمد ﷺ

ورد في سفر التثنية من أسفار التوراة، هذا النص:

((أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به)).

وهذا النص يشير إلى بعثة النبي محمد ﷺ؛ لأن إخوة «بني إسرائيل من العرب؛ لأن جدهما إبراهيم ـ عليه السلام ـ، هذا إجماع تاريخي منا ومنهم ومن جميع أهل التاريخ في أرض الله. فلا سبيل للشك فيه، ووسط العرب هم قريش، ووسط قريش هاشم، كما ورد في صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى هاشماً من قريش، واصطفاني من بني هاشم**». ولم يجئ نبي بعد موسى ـ عليه السلام ـ بشريعة كاملة جامعة بين العقيدة والتشريع مستقلة، غير محمد ﷺ. فهو النبي المماثل لموسى الذي خُوطِب بهذا النص، ولا معنى للأخوة، لو كان هذا النبي الموعود من بني إسرائيل كما يزعم المحرِّفون؛ لأنه حينئذ يكون من أنفسهم لا من إخوتهم، وجعل كلام الله في فمه كناية عن عدم تعاطي الكتابة والاعتماد على الحفظ والتلاوة، وهو معنى الأمية التي هي أخص أوصاف محمد رسول الله ﷺ.

يقول الله تعالى في سورة الصف: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...**﴾[٢].

وهذا نصٌّ صريح قاطع، في أن عيسى ـ عليه السلام ـ بشَّرَ قومه برسالة رسول يجيء بعده اسمه «أحمد»، ولم يزعم أحد قط أن اسم «أحمد» سمي به رسول جاء بعد

(١) يُقصد بـ «التوراة»: أسفار موسى الخمسة، وهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية فقط. أمَّا باقي أسفار الأنبياء، فقد أُلحقت بأسفار موسى، وسمى الجميع بـ «العهد القديم».

(٢) سورة الصف، الآية: ٦.

عيسى ـ عليه السلام ـ غير خاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ[١].

وإن ارتاب أحد في هذا التفسير لهذا النص التوراتي، فسوف نسوق له هذا التفسير على لسان أحد علماء اليهود أنفسهم. فقد كان من هؤلاء اليهود رجلٌ اسمه العبراني: «شموائيل بن يهوذا بن آبون». كان يعيش في القرن السادس الهجري، وقد شرح الله صدره للإسلام، وبعد إسلامه تخلَّى عن اسمه العبراني، وتمسك باسمه العربي وهو: «السَّمْوأل بن يحيى المغربي». ولأنه كان من علماء اليهود، فقد صنَّف كتاباً يرد به عليهم ويظهر ضلالهم وأباطيلهم، وسمَّاه «إفحام اليهود». وقد بيَّن هو ـ رحمه الله ـ الغرض من تأليفه هذا الكتاب، فقال:

(والغرض من إنشاء هذه الكلمة ـ يقصد كتاب «إفحام اليهود» ـ الردُّ على أهل اللجاج والعناد، وأن تظهر ما يعتور كلمتهم ـ ملتهم ـ من الفساد على أن الأئمة ـ ضُوعِفَ ثوابهم ـ قد انتدبوا ـ قبلي ـ لذلك، إلاَّ أن أكثر ما نوظروا به ـ يعني اليهود ـ يكادون لا يفهمونه!! أو لا يلتزمونه!! وقد جعل ـ الله ـ إلى إفحامهم طريقاً مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم، وأعماهم الله عنه، عند تبديلهم ليكون حجَّة عليهم، موجودة في أيديهم)[٢].

❊ ❊ ❊

(١) «محمد رسول الله ﷺ»، بقلم محمد الصادق عرجون (١/ ١٢٤، ١٢٥).

(٢) «إفحام اليهود»، ص ٣٠. تحقيق الدكتور: محمد عبد الله الشرقاوي، ط. دار الهداية، مصر.

ذكر الآيات والعلامات ـ

التي في التوراة ـ الدالة على نبوة سيدنا محمد ﷺ

قال العلامة السموْأل بن يحيى ـ رحمه الله ـ:

إنهم لا يقدرون على أنْ يجْحَدُوا هذه الآية، من الجزء الثاني، من السفر الخامس، من التوراة:

((نَبِيًا أقيم لأهيم مقاربْ اَئهيم كاموخا إيلا ويشماعون)).

*** تفسيره:**

«نبيناً أقيمُ لهم، مِنْ وسَط إخوتِهمْ مثلك، به فليؤمنوا».

وإنَّما أشار بهذا إلى أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ. فإن قالوا:

«إنه قال: من وسط إخوتهم، وليس في عادة كتابنا أنْ يعني بقوله: «إخوتكم» إلا بني إسرائيل».

قلنا: بلى، فقد جاء في التوراة «إخوتكم بنو العيص»، وذلك في الجزء الأول من السفر الخامس قوله:

«أيَّم عوبِريم بقبول أخيحم بني عَيْسا وهيو شئيم بِسَيْعِير».

*** تفسيره:**

«أنتم عبارون في تُخم إخوتكم بني العيص المقيمين من سِعْير إياكم أنْ تطمعوا في شيء من أرضهم».

فإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل؛ لأن العيص وإسرائيل ولدا إسحاق، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولَدِ إبراهيم.

وإن قالوا:

إنَّ هذا القول إنَّما أُشير به إلى شموائيل، النبي ـ عليه السلام ـ ، لأنه قال: «مِنْ وسَطِ إخوتهم مثلك».

وشموائيل كان مثل موسى؛ لأنه من أولاد ليوى ـ يعنون من السِّبط الذي كان منه موسى ـ .

قلنا لهم:

فإنْ كنتم صادقين، فأي حاجةٍ بكم إلى أن يوصيكم بالإيمان بشموائيل، وأنتم تقولون: إن شموائيل لم يأت بزيادةٍ ولا بنسخ؟! أأشفق من أنْ لا تقبلوه؟ إنه إنَّما أرسل: ليقوّي أيديكم على أهل فلسطين، وليردكم إلى شرع التوراة.

ومَنْ هذه صفته، فأنتم أسبق الناس إلى الإيمان به؛ لأنه إنَّما يُخافُ تكذيبكُم لمنْ ينسخ مذهبكم ويغيِّر أوضاع ديانتكم، فالوصية بالإيمان به مما لا يستغنى مثلكم عنه.

ولذلك، لم يكن لموسى حاجة أن يوصيكم بالإيمان بنبوة أرْميا وأشعيا وغيرهم من الأنبياء.

وهذا دليلٌ على أن التوراة أمرتْهُم في هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى[1] ﷺ، واتِّباعه.

❋ ❋ ❋

---

(١) مما يجدر ذكره هنا: أن كل من كتب في بشارات الكتب السابقة: (العهد القديم والعهد الجديد) ـ بنبوة محمد ﷺ، قد ذكر هذه الفقرة من التوراة، انظر مثلاً:

* كتاب «الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ»، للمهتدي علي بن ربّل الطبري، من علماء القرن الثالث الهجري.
* وكتاب «الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل» لابن حزم الظاهري.
* وكتاب «تثبيت دلائل النبوة»، للقاضي عبد الجبار الهمداني.
* وكتاب «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية»، لنصر بن يحيى المتطبب.
* وكتاب «الأجوبة الفاخرة»، للقرافي الصنهاجي.
* وكتاب «إظهار الحق»، لرحمة الله الكيرانوى الهندي.
* وكتاب «مسالك النظر في نبوة سيد البشر»، لسعيد بن الحسن الإسكندراني.
* «دلائل النبوة»، لابن قتيبة الدينوري.
* وكتاب «دلائل النبوة»، لأبي نعيم صاحب «الحلية».
* وكتاب دلائل النبوة»، للبيهقي.
* وكتاب «إثبات نبوة النبي ﷺ»، لأبي الحسن أحمد بن الحسين بن فاروق الزيدي المتوفى سنة ٤٢١هـ.
* وكتاب «أعلام النبوة»، للماوردي.

الإشارة إلى اسمه[1] في التوراة

قال الله تعالى في الجزء الثالث من السِّفر الأول من التوراة، مخاطباً إبراهيم الخليل - عليه السلام -:

«وأمَّا إسماعيل، فقد قَبَلْتُ دعاءك، ها أنا قد باركت فيه، وأثمِره وأكثره جداً جداً».

ذلك قوله:

«وليشماعيل شمعيتَخَاقنِّي يبرخْتي أونوا وهِفريثي أوثو وهِزْبيثى أوثو بماد ماد».

فهذه الكلمة: «بماد ماد» إذا عددنا حساب حروفها بالجمل[2]، كان:

اثنين وتسعين، وذلك عدد حساب حروف اسم (محمد) ﷺ، فإنه أيضاً اثنين وتسعون. وإنَّما جعل ذلك في هذا الموضوع مُلْغِزاً[3]؛ لأنه لو صُرِّحَ به لبدَّلَتْهُ اليهود، أو أسقطته[4] من التوراة، كما عملوا في غير ذلك!!

فإن قالوا:

= * وكتاب «تثبيت الدلائل»، للقاضي عبد الجبار.
* وكتاب «الوفاء بأحوال المصطفى»، لابن الجوزي.
* وكتاب «الخصائص الكبرى»، للإمام السيوطي... إلخ.

(١) يقصد: الرسول المصطفى (محمد) ﷺ.

(٢) طريقة معروفة في الحساب القديم، وهو قائم على أن كل حرف من حروف الأبجدية يساوي عدداً معيناً كالتالي:
أ = ١، ب = ٢، جـ = ٣، د = ٤، هـ = ٥، و = ٦، ز = ٧، ح = ٨، ط = ٩، ي = ١٠، ك = ٢٠، ل = ٣٠، م = ٤٠، ن = ٥٠، س = ٦٠، ع = ٧٠، ف = ٨٠، ص = ٩٠، ق = ١٠٠، ر = ٢٠٠، ش = ٣٠٠، ت = ٤٠٠، ث = ٥٠٠، خ = ٦٠٠، ذ = ٧٠٠، ض = ٨٠٠، ظ = ٩٠٠، غ = ١٠٠٠.
وبحساب الحروف هذا، تكون «بمادماد» تساوي:
ب = ٢ + م = ٤٠ + أ = ١ + د = ٤ = ٤٧، م = ٤٠ + أ = ١ + د = ٤ = ٤٥، فيصبح مجموع هذه الحروف كالتالي:
٤٧ + ٤٥ = ٩٢، وهو عدد حروف اسم محمد.
م = ٤٠ + ح = ٨ + م = ٤٠ + د = ٤، والمجموع = ٩٢ حرفاً.

(٣) لا يبين إلا لمن يمعن النظر والتأمّل فيه.

(٤) وهو أعرف بهم في التبديل والتحريف، ومن أجل ذلك كان هجوم اليهود عليه عنيفاً مسعوراً.

إنَّه قد يوجد في التوراة عدد كلمات مما يكون عدد حساب حروفه مساوياً لعدد حساب حروف اسم زيد وعمرو وخالد وبكر، فلا يلزم من ذلك أن يكون زيد وعمرو وخالد وبكر أنبياء.

فالجواب:

إنَّ الأمر ـ كما يقولون ـ، لو كان لهذه الآية أسوةٌ بغيرها من كلمات التوراة. لكنَّا نحن نقيم البراهين والأدلة على أنه لا أُسوة لهذه الكلمة بغيرها من سائر التوراة؛ وذلك أنه ليس في التوراة من الآيات، ما حاز به إسماعيل الشرف، كهذه الآية؛ لأنها وعْدٌ من الله لإبراهيم بما يكون من شرف إسماعيل، وليس في آيةٌ أخرى مشتملة على شرف لقبيلة زيد وعمرو وخالد وبكر!!

ثم إنَّا نُبيِّن أنه ليس في هذه الآية كلمة تساوي «بماد ماد» التي معناها: (جدا جداً).

وذلك أنها كلمةُ المبالغة من الله ـ سبحانه ـ، فلا أسوة لها بشيءٍ من كلمات الآية المذكورة.

وإذا كانت هذه الآية، أعظم الآيات مبالغةً في حق إسماعيل وأولاده، وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقي كلمات تلك الآية، فلا عجب أن تتضمَّن الإشارة إلى أجَلِّ أولاد إسماعيل شرفاً وأعظمهم قدراً، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم.

وإذ قد بيَّنَّا أنَّه ليس لهذه الكلمة أسوة بغيرها، من كلمات هذه الآية، ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة، فقد بطل اعتراضهم.

* * *

ذكر الموضع الذي أُشيرَ فيه إلى نبوة الكليم والمسيح والمصطفى - عليهم السلام -

«وآمادَ أذُوْناى مسِّيناي إشكَلّى ودَ بهْورْ يَقَايْه مِسْعِير اثحزى لآنَا اسْتَخَى بغبورْ تيه تملْ طوراد فإران وعمَّيه ربّواث قديسين».

*** تفسيره:**

قال: «إن الله تعالى من سيناء تجلى، وأشرق نوره من سيعير، وأطلع من جبل فاران ومعه ربوات القديسى».

وهم يعلمون أنَّ جبل سيعير هو جبل الشراة الذي فيه بنو العيص، الذين آمنوا بعيسى - ﷺ -، وهم يعلمون أن سيناء، هو جبل الطور، لكنهم لا يعلمون أن جبل فاران هو جبل مكة.

وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة، التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء، ما يقتضي للعقلاء، أن يبحثوا عن تأويله المؤَدِّى إلى الأمر باتباع مقالتهم.

فأمَّا الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران، هو جبل مكة، فهو أن إسماعيل لَمَّا فارق أباه الخليل - ﷺ -، سكن إسماعيل في بَرِّيَّة فاران. ونطقت التوراة بذلك.

في قوله:

«وييسب بمذبار فاران وتقّاح لو إمّو إشَّا مَيَّاء يزمن مصرايم».

*** تفسيره:**

«وأقام في برية فاران، وأنْكَحَتْه أُمُّه امرأة من أرض مصر»[1].

فقد ثبت في التوراة: أن جبل فاران، مسكن لآل إسماعيل. وإذا كانت التوراة

---

(١) جاء في سفر التكوين (٢١ - ٢٢): «وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر».

قد أشارت في الآية التي تقدم ذكرها، إلى نُبوَّةٍ تنزل على جبل فاران، لزم أن تلك النبوة على آل إسماعيل؛ لأنهم سكان فاران.

وقد علم الناس قاطبة أن المشار إليه بالنبوة من ولد إسماعيل: محمد ﷺ، وأنه بعث من مكة التي كان فيها مقام إسماعيل.

فدلَّ ذلك على أن جبال فاران هي جبال مكة، وأن التوراة أشارت في هذا الموضع إلى نبوة المصطفى، صلوات الله وسلامه عليه، وبشَّرتْ به، إلا أن اليهود، لجهلهم وضلالهم لا يحسنون الجمع بين هاتين الآيتين. بل يسلِّمون المقدمتين، ويحجدون النتيجة؛ لفرط جهلهم.

وقد شهدت عليهم التوراة بالإفلاس من الفِطْنَةِ والرأى!!

ذلك قوله تعالى:

«كى بمو أو باذ عيصوث هيّما وأيْن باهيم تبونا».

*** تفسيره:**

«إنهم لشعب عادم الرأى، وليس فيهم فطانة»[1].

وقد ذكر الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ ما ذكره العلاَّمة «السموأل بن يحيى» مع زيادة في الإيضاح. فقال في كتابه «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»:

(نحن نذكر بعض ما ورد فيها[2] من البشارة به ونعته وصفته وصفة أمته، وذلك يظهر من وجوهٍ:

*** الوجه الأول:**

قوله تعالى في التوراة: «سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك أجعل كلامي في فيه، ويقول لهم ما آمره به والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي إنما أنتقم منه ومن سبطه».

---

(١) «إفحام اليهود»، ص ١١١ ـ ١٢٠.
(٢) أي: التوراة.

فهذا النص مما لا يمكن أحداً منهم جحده وإنكاره، ولكن لأهل الكتاب فيه أربعة طرق:

أحدها: حمله على المسيح، وهذه طريقة النصارى. وأمَّا اليهود فلهم فيه ثلاثة طرق:

أحدها: أنه على حذف أداة الاستفهام، والتقدير: أأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم أي: لا أفعل هذا، فهو استفهام إنكار حذفت منه أداة الاستفهام.

والثاني: أنه خبر ووعد ولكن المراد به: شمويل النبي، فإنه من بني إسرائيل، والبشارة إنَّما وقعت بنبي من إخوتهم، وإخوة القوم هم: بنو أبيهم، وهم بنو إسرائيل.

الثالث: أنه نبي يبعثه الله في آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم وهم ينتظرونه إلى الآن.

وقال المسلمون: البشارة صريحة في النبي ﷺ العربي الأمي محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه لا يحتمل غيره.

فإنَّها[1] إنَّما وقعت بنبي من إخوة بني إسرائيل لا من بني إسرائيل أنفسهم، والمسيح من بني إسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح؛ لقال: أقيم لهم نبياً من أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ...**﴾[2]. وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولا يعقل في لغة أمة من الأمم أن بني إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل، كما أن إخوة زيد لا يدخل فيهم زيد نفسه.

وأيضاً فإنه قال: «نبياً مثلك»، وهذا يدل على أنه صاحب شريعة عامة مثل موسى، وهذا يبطل حَمْله على شمويل من هذا الوجه أيضاً، ويبطل حَمْله على يوشع، من ثلاثة أوجه:

** **الوجه الأول**: أنه من بني إسرائيل لا من إخوتهم.

---

(١) أي: البشارة.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

** والثاني: أنه لم يكن مثل موسى، وفي التوراة: «لا يقوم في بني إسرائيل مثل موسى».

** والثالث: أن يوشع نبي في زمن موسى، وهذا الوعد إنَّما هو بنبي يقيمه الله بعد موسى.

وبهذه الوجوه الثلاثة يبطل حَمْله على هـرون، مع أن هـرون توفي قبل موسى، ونبأه الله مع موسى في حياته.

** ويبطل ذلك وجه رابع أيضاً: وهو أن في هذه البشارة أنه ينزل عليه كتاباً يظهر للناس من فيه، وهذا لم يكن لأحد بعد موسى غير النبي ﷺ، وهذا من علامات نبوته التي أخبرت بها الأنبياء المتقدمون.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1].

فالقرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ وظهر للأمة من فيه، ولا يصح حمل هذه البشارة على قلب المسيح، باتفاق النصارى؛ لأنها إنَّما جاءت بواحد من إخوة بني إسرائيل، وبنو إسرائيل وإخوتهم كلهم عبيد ليس فيهم إله، والمسيح عندهم إله معبود، وهو أجلّ عندهم من أن يكون من إخوة العبيد، والبشارة وقعت بعبد مخلوق يقيمه الله من جملة عبيده وإخوتهم، وغايته أن يكون نبياً لا غاية له فوقها. وهذا ليس هو المسيح عند النصارى.

وأمَّا قول المحرِّفين لكلام الله: إن ذلك على حذف ألف الاستفهام، وهو استفهام إنكار، والمعنى: لا أقيم لبني إسرائيل نبياً.

فتلك عادة لهم معروفة في تحريف كلام الله عن مواضعه، والكذب على الله، وقولهم لما يبدلونه ويحرفونه: ﴿... هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ...﴾[2].

* **الوجه الثاني:**

قال في التوراة في السفر الخامس:

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ ـ ١٩٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

«أقبل الله من سيناء، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران، ومعه ربوات الأطهار عن يمينه».

وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة: نبوة موسى، ونبوة عيسى، ونبوة محمد ﷺ.

فمجيئه من «سيناء» وهو الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى ونبأه عليه إخبار عن نبوته، وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس.

و«**ساعير**» قرية معروفة هناك إلى اليوم، وهذه بشارة بنبوة المسيح.

و«**فاران**»: هي مكة، وشبَّه ـ سبحانه ـ نبوة موسى بمجيء الصباح، ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه، وبنوة خاتم الأنبياء بعدهما استعلاء الشمس وظهور ضوئها في الآفاق، ووقع الأمر كما أخبر به سواء، فإن الله ـ سبحانه ـ صدع بنبوة موسى ليل الفكر، فأضاء فجره بنبوته، وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح، وكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض بنبوة محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .

وذكر هذه النبوات الثلاثة التي اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها في أول سورة ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ**﴾[1]، فذكر أمكنة هؤلاء الأنبياء وأرضهم التي خرجوا منها. ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ**﴾[1]، والمراد بهما: منبتهما وأرضهما، وهي الأرض المقدسة التي هي مظهر المسيح. ﴿**وَطُورِ سِينِينَ**﴾؛ الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى، فهو مظهر نبوته، ﴿**وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ**﴾: مكة حرم الله وأمنه التي هي مظهر نبوة محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .

فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة، سواء قالت اليهود: «فاران» هي أرض الشام وليست أرض الحجاز أم لم تقل.

وليس هذا ببدع من بهتهم وتحريفهم. فعندهم في التوراة: أن إسماعيل لما فارق أباه، سكن في برية فاران. هكذا نطقت التوراة، ولفظها: «وأقام إسماعيل في برية فاران وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر».

ولا يشك علماء أهل الكتاب، أن فاران مسكن لآل إسماعيل، فقد تضمنت

(١) سورة التين، الآيات: ١ ـ ٣.

التوراة نبوة تنزل بأرض فاران، وتضمنت نبوة تنزل على عظيم من ولد إسماعيل، وتضمنت انتشار أمته وأتباعه حتى يملؤا السهل والجبل ـ كما سنذكره إن شاء الله ـ تعالى ـ ، ولم يبق بعد هذا شبهة أصلاً في أن هذه هي نبوة محمد ﷺ التي نزلت بفاران على أشرف ولد إسماعيل حتى ملأت الأرض ضياء ونوراً، وملأ أتباعه السهل والجبل، ولا يكثر على الشعب الذي نطقت التوراة بأنهم عادموا الرأي والفطانة أن ينقسموا إلى جاهل بذلك وجاحد مكابر معاند.

ولفظ التوراة فيهم: «إنهم لشعب عادم الرأى، وليس فيهم فطانة».

ويقال لهؤلاء المكابرين: أي نبوة خرجت من الشام فاستعلت استعلاء ضياء الشمس، وظهرت فوق ظهور النبوتين قبلها؟!

وهل هذا إلا بمنزلة مكابرة من يرى الشمس قد طلعت من المشرق فيغالط ويكابر ويقول: بل طلعت من المغرب!!

*** الوجه الثالث:**

قال في التوراة في السفر الأول:

«إن الْمَلَكَ ظهر لهاجر أم إسماعيل، فقال: يا هاجر! من أين أقبلت؟ وإلى أين تريدين؟».

فلما شرحت له الحال، قال: ارجعي، فإني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً اسمه إسماعيل؛ لأن الله قد سمع تذللك وخضوعك وولدك يكون وحش الناس وتكون يده على الكل ويد الكل مبسوطة إليه بالخضوع»[1].

وهذه بشارة تضمنت أن يد ابنها على يد كل الخلائق، وأن كلمته هي العليا، وأن أيدي الخلق تحت يده. فمن هذا الذي ينطبق عليه هذا الوصف سوى محمد ابن عبد الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ؟!

وكذلك في السفر الأول من التوراة:

(١) تكوين (٦: ٧ ـ ١٢).

«أن الله قال لإبراهيم: إني جاعل ابنك إسماعيل لأمة عظيمة إذ هو زرعك»[١].

وهذه بشارة بمن جعل من ولده لأمة عظيمة، وليس هو سوى محمد بن عبدالله الذي هو من صميم ولده، فإنه جعل لأمة عظيمة، ومن تدبّر هذه البشارة، جزم بأن المراد بها: رسول الله ﷺ؛ لأن إسماعيل لم تكن يده فوق يد إسحاق قط، وكانت يد إسحاق مبسوطة إليه بالخضوع، وكيف يكون ذلك وقد كانت النبوة والملك في إسرائيل وعيسو، وهما ابنا إسحاق، فلما بعث رسول الله ﷺ وانتقلت النبوة إلى ولد إسماعيل، ودانت له الأمم وخضعت له الملوك وجعل خلافة الملك إلى أهل بيته إلى آخر الدهر وضارت أيديهم فوق أيدي الجميع مبسوطة إليهم بالخضوع.

وكذلك في التوراة في السفر الأول:

«أن الله تعالى قال لإبراهيم: إن في هذا العام يولد لك ولد اسمه إسحاق، فقال إبراهيم: ليت إسماعيل هذا يحيى بين يديك ويمجدك، فقال الله تعالى: قد استجبت لك في إسماعيل، وإني أباركه وأنميه وأعظمه جداً جداً بما قد استجبت فيه، وإني أصيره إلى أمة كثيرة وأعطيه شعباً جليلاً»[٢].

والمراد بهذا كله: الخارج من نسله، فإنه هو الذي عظمه الله جداً جداً وصيره إلى أمة كثيرة وأعطاه شعباً جليلاً، ولم يأت من صلب إسماعيل من بورك وعظم وانطبقت عليه هذه العلامات غير رسول الله ﷺ، فأمته ملاؤا الآفاق وأربوا في الكثرة على نسل إسحاق.

❁ الوجه الرابع:

قال في التوراة في السفر الخامس:

«قال موسى لبني إسرائيل: لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين، فيسقهِ لكم الرب نبياً من إخوانكم مثلي، فأطيعوا ذلك النبي».

---

(١) تكوين (٢١: ١٢ ـ ١٣).

(٢) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، ص (١١٥ ـ ١٢٢).

ولا يجوز أن يكون هذا النبي الموعود به من أنفس بني إسرائيل؛ لِمَا تقدَّم أن إخوة القوم ليسوا أنفسهم، كما يقول بكر وتغلب ابنا وائل، ثم يقول: تغلب إخوة بكر؛ وبنو بكر إخوة تغلب. فلو قلت: إخوة بني بكر بنو بكر كان محالاً، ولو قلت لرجل: آتنى برجل من إخوة بني بكر بن وائل، لكان الواجب أن يأتيك برجل من بني تغلب بن وائل لا بواحد من بني بكر[1].

وقال أيضاً ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه «جلاء الأفهام»:

(قال في التوراة في إسماعيل قولاً هذه حكايته بعد هذا المتن:

قال الشارح: هذان الحرفان في موضعين يتضمنان اسم السيِّد الرسول محمد ﷺ؛ لأنك إذا اعتبرت حروف اسم «محمد» وجدتَها في الحرفين المذكورين؛ لأن ميمين «محمد» وداله بإزاء الميمين من الحرفين وإحدى الدالين، وبقية اسم «محمد» ومن الحاء، فبإزاء بقية الحرفين، وهي الباء، والألفان، والدال الثانية.

قلت: يريد بالحرفين: الكلمتين، قال: لأن للحاء من الحساب ثمانية من العدد، والباء لها اثنان، وكل ألف لها واحد، والدال بأربعة، فيصير المجموع ثمانية، وهي قسط الحاء من العدد الْجُمَّليّ، فيكون الحرفان معنى الكلمتين وهما «مماد باد»، قد تضمنا بالتصريح ثلاثة أرباع اسم محمد ﷺ، وربعه الآخر قد دلَّ عليه بقية الحرفين بالكتابة بالطريق التي أشرت إليها.

قال الشارح: فإن قيل: فما مستندكم في هذا التأويل؟

قلنا: مستندنا فيه مستند علماء اليهود في تأويل أمثاله من الحروف المشكلة التي جاءت في التوراة، كقوله تعالى: «يا موسى، قُلْ لبني إسرائيل أن يجعل كلُّ واحدٍ منهم في طرف ثوبه خيطاً أزرق له ثمانية أرؤس، ويعقد فيه خمس عُقَد ويسميه صيصيت».

قال علماء اليهود: تأويل هذا وحكمته: أن كل من رأى ذلك الخيط الأزرق وعدد أطرافه الثمانية، وعقدة الخمس وذكر اسمه، ذكر ما يجب عليه من فرائض الله ـ سبحانه وتعالى ـ ؛ لأن الله تعالى افترض على بني إسرائيل ستمائة وثلاث

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، ص (١١٥ ـ ١٢٢).

عشرة شريعة؛ لأن الصادين والياءَين بمائتين، والتاء بأربعمائة، فيصير مجموع الاسم ستمائة والأطراف والعقد ثلاثة عشر، كأنه يقول بصورته واسمه اذكر فرائض الله ـ عز وجل ـ .

قال هذا الشارح: وأما قول كثير من المفسرين: إن المراد بهذين الحرفين: «جداً جداً» لكون لفظ «ماد» قد جاءت مفردة في التوراة بمعنى «جداً» قال: فهذا لا يصح لأجل الباء المتصلة بهذا الحرف، فإنه ليس من الكلام المستقيم قول القائل: أنا أكرمك بجداً، فلما نقل هذا الحرف من التوراة الأزلية التي نزلت في ألواح الجوهر على الكليم بالخط الكينوني، وهذا الجرف فيها موصولاً بالباء، عُلِمَ أن المراد غير ما ذهبَ إليه من قال: هي بمعنى «جداً»؛ إذ لا تأويل يليق بها غير هذا التفسير، بدليل قوله تعالى في غير هذا الموضع لإبراهيم عن ولده إسماعيل: إنه يلد اثني عشر شريفاً ومن شريف منهم يكون شخص اسمه مماد باد، فقد صرحت التوراة أن هذين الحرفين اسم علم لشخص شريف معين من ولد إسماعيل، فبطل قول من قال: إنه بمعنى المصدر للتوكيد، فإن التصريح بكونه اسم عين يناقض من يدَّعى أنه اسم معنى، والله أعلم. . . تم كلامه.

وقال غيره: لا حاجة إلى هذا التعسف في بيان اسمه ﷺ في التوراة، بل اسمه فيها أظهرُ من هذا كلّه، وذلك أن التوراة هي باللغة العبرية، وهي قريبة من العربية، بل هي أقرب لغات الأمم إلى اللغة العربية، وكثيراً ما يكون الاختلافُ بينهما في كيفية أداء الحروف والنطق بها من التفخيم والترقيق والضم والفتح، وغير ذلك، واعتُبِرَ هذا بتقارب ما بين مفردات اللغتين:

فإن العرب يقولون: «لا».

والعبرانين تقول: «لو»، فيضمون اللام، ويأتون بالألف بين الواو والألف.

وتقول العرب: «قدس».

ويقول العبرانيون: «قد شى».

وتقول العرب: «أنت».

ويقول العبرانيون: «أنا».

وتقول العرب: «يأتي كذا».

ويقول العبرانيون: «يُوتى» فيضمون الياء، ويأتون بالألف بعدها بين الواو والألف.

وتقول العرب: «قدسك».

ويقول العبرانيون: «قد شحا».

وتقول العرب: «منه».

ويقول العبرانيون: «ممنو».

وتقول العرب: «من يهوذا».

ويقول العبرانيون: «مهوذا».

وتقول العرب: «سمعتك».

ويقول العبرانيون: «شمعنيخا».

وتقول العرب: «من».

ويقول العبرانيون: «مى».

وتقول العرب: «يمينه».

ويقول العبرانيون: «مينو».

وتقول العرب: «له».

ويقول العبرانيون: «لو» بين الواو والألف.

وتقول العرب: «أمة».

ويقول العبرانيون: «أموا».

وتقول العرب: «أرض».

ويقول العبرانيون: «أيرض».

وتقول العرب: «واحد».

ويقول العبرانيون: «إيماد».

وتقول العرب: «عالم».

ويقول العبرانيون: «عولام».

وتقول العرب: «كيِّس».

ويقول العبرانيون: «كييس».

وتقول العرب: «يأكل».

ويقول العبرانيون: «يوخل».

وتقول العرب: «تين».

ويقول العبرانيون: «تيين».

وتقول العرب: «إله».

ويقول العبرانيون: «أولوه».

وتقول العرب: «إلهنا».

ويقول العبرانيون: «ألوهينو».

وتقول العرب: «أبانا».

ويقول العبرانيون: «أبو تينا».

ويقولون: «بأصباع الوهيم»، يعنون: أصبع الإله.

ويقولون: «ما بنم»، يعنون: الابن.

ويقولون: «حاليب»، بمعنى: حالوب، فإذا أرادوا. يقولون: «لا تأكل الجدى في حليب أمه»، قالوا: لو تدخل لذي ما حالوب أمّو.

ويقولون: «لو توخلوا»، أي: لا تأكلوا.

ويقولون للكتب: «المشنا»، ومعناها: بلغة العرب: «المثناة» التي تثنى؛ أي: تقرأ مرة بعد مرة.

ولا نطيل بأكثر من هذا في تقارب اللغتين، وتحت هذا سرٌّ يفهمه من فهم تقارب ما بين الأمتين والشريعتين واقتران التوراة بالقرآن في غير موضع من الكتاب؛ كقوله تعالى: ﴿... أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ[1] تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ * قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

وقوله في سورة الأنعام ردًا على من قال: ﴿... مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ...﴾[3].

ثم قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾[4].

وقال في آخر السورة: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[5].

وقال تعالى في أول سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ...﴾[6].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ * وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[7].

ولهذا، يذكر ـ سبحانه وتعالى ـ قصة موسى ويُعيد بها ويبديها ويُسلِّي رسول الله ﷺ: «لقد أُوذي موسى بأكثر من هذا فصبر»[8].

---

(١) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ساحران، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: سحران. انظر: «زاد المسير» (٦/ ٢٢٧، ٢٢٨).

(٢) سورة القصص، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٢.

(٥) سورة الأنعام، الآيتان: ١٥٤، ١٥٥.

(٦) سورة آل عمران، الآيات: ١ ـ ٤.

(٧) سورة الأنبياء، الآيتان: ٤٨ ـ ٥٠.

(٨) رواه: البخاري (٨/ ٥٥)، ومسلم (٢٤٠٨، ٢٤٠٩)، من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

ولهذا قال النبي ﷺ : **«إنه كائن في أمتي ما كان في بني إسرائيل حتى لو كان فيهم من أتى أمَّهُ علانية لكان في هذا الأمة من يفعله»**[١].

فتأمَّل هذا التناسب بين الرسولين والكتابين والشريعين، أعني: الشريعة الصحيحة التي لم تُبدَّل، والأُمَّتين واللغتين. فإذا نظرت في حروف «محمد» وحروف «مماد باد»، وجدت الكلمتين كلمة واحدة. فإن الميمين فيهما والهمزة والحاء من مخرج واحد. والدَّال كثيراً ما تجد موضعها ذالاً في لغتهم. يقولون: «إيحاذ» للواحد، ويقولون: «قوزش» في القدس، والدال والذال متقاربتان، فمن تأمَّل اللغتين، وتأمَّل هذين الاسمين، لم يشك أنهما واحد، ولهذا نظائر في اللغتين، مثل: «موسى»، فإنه في اللغة العبرانية: «موشى» بالشين، وأصله: الماء والشجر، فإنهم يقولون للماء: «مو»، و«شا»: هو الشجر، وموسى التقطه آل فرعون من بين الماء والشجر، فالتفاوت بين موسى وموشى كالتفاوت بين «محمد» و«مماد ماد».

وكذا إسماعيل هو في لغتهم: «يشماعيل» بالألف بين الياء والألف وبشين بدل السين، فالتفاوت بينهما كالتفاوت بين «محمد» و«ماد ماد».

وكذلك «العيص». وهو أخو يعقوب. يقولون له: «عيسى»، وهو عيص، ونظير هذا في غير الأعلام مما تقدم قوله: يشماعون، يعنون: يسمعون، ويقولون: آقيم بمد الهمزة مع ضمها، أي: أقيم. ويقولون: مى قارب، أي: مما يعترف به كل مؤمن عالم من علماء أهل الكتاب.

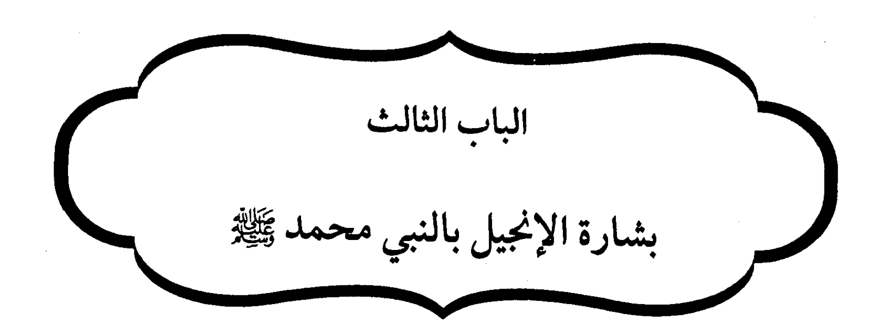
والمقصود: أن اسم النبي ﷺ في التوراة «محمد» كما هو في القرآن[٢].

* * *

---

(١) حسن؛ لشواهده. رواه: الترمذي (٢٦٤١)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» ص(٨٥)، والآجري في «الشريعة» ص (١٥، ١٦)، والمروزي في «السنة» ص (١٨)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ٩٩)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٦٢)، والحاكم (١/ ١٢٨ ـ ١٢٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ٢١٩ ـ ٢٢١)، والأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» ص (٢٤ ـ ٢٥)، وفي سنده عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وهو ضعيف، ولكن له شواهد تقويه، وجوَّد إسناده: الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٣٣٠).

(٢) «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام»، ص ١٤٤ ـ ١٥٠.



الباب الثالث

بشارة الإنجيل بالنبي محمد ﷺ

بشارة الإنجيل[1] بالنبي محمد ﷺ

ثبت في الإنجيل، البشارة بالنبي محمد ﷺ، وقد أشار إليه عيسى - عليه السلام - بلفظ «الفارقليط»، وهذا اللفظ يقرب معناه من معنى «محمد وأحمد»، وهو يُصدِّق ما أخبر به الله في القرآن عن عيسى - عليه السلام - وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾[1].

يقول الأنبا أثناسيوس: «إن لفظ فارقليط إذا حُرِّف نطقه قليلاً يصير (بير يكليت) ومعناه: الحمد أو الشكر وهو قريب من لفظ أحمد»[2].

وقد روى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي يوم القيامة، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي**».

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: في الإنجيل[3]:

«إن المسيح قال للحواريين: إني ذاهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق، لا يتكلم من قبل نفسه، إنَّما هو كما يُقال له، وهو يشهد عليَّ وأنتم تشهدون؛ لأنكم معي من قبل الناس، وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به».

وفي إنجيل يوحنا: «الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب، وإذا جاء وبَّخَ العالم على الخطية، ولا يقول من تلقاء نفسه، ولكنه مما يسمع به، ويكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب».

---

(١) الإنجيل: كلمة يونانية بمعنى: الخبر السعيد، أو البشارة. وقد تداول النصارى في القرن الأول عشرات النسخ من الأناجيل، ثم اعتمد مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥م أربعة كتب، وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا... بالإضافة إلى عدد من الرسائل منسوبة إلى بولس وبعض تلاميذ المسيح، وهم: يعقوب، وبطرس، ويوحنا، ويهوذا. وكلها تُعرف بـ «العهد الجديد».

(٢) نبوءة محمد في الكتاب المقدس، أحمد حجازي السقا، نقلاً عن: تفسير إنجيل يوحنا للأنبا اثنا سيوس.

(٣) يشير إلى الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا وما بعده.

وفي موضع آخر: «إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي باسمي، وهو يعلمكم كل شيء».

وفي موضع آخر: «إني سائل له أن يبعث إليكم فارقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد، وهو يعلمكم كل شيء».

وفي موضع آخر: «ابن البشر ذاهب والفارقليط من بعده يجيء لكم بالأسرار ويفسّر لكم كل شيء، وهو يشهد لي كما شهدت له، فإني أجيئكم بالأمثال، وهو يأتيكم بالتأويل».

قال أبو محمد بن قتيبة: وهذه الأشياء على اختلافها متقاربة، وإنَّما اختلفت؛ لأن من نقلها عن المسيح ﷺ في الإنجيل من الحواريين عدة «والفارقليط»: - بلغتهم - لفظ من ألفاظ الحمد، إما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد أو نحو ذلك[1]، وهو في الإنجيل الحبشي: «برنعطيس».

وفي موضع آخر: «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم إلى الأبد ويتكلم بروح الحق الذي لم يطق العالم أن يقبلوه؛ لأنهم لم يعرفوه ولست أدعكم أيتاماً إني سآتيكم عن قريب».

وفي موضع آخر: «ومن يحبني يحفظ كلمتي وأبي يحبه وإليه يأتي وعنده يتحد المنزل، كلمتكم بهذا لأني ليست عندكم مقيماً، الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلته لكم، استودعتكم سلامي، لا تقلق قلوبكم، ولا تجزع فإني منطلق وعائد إليكم، لو كنتم تحبوني كنتم تفرحون، فإن ثبت كلامي فيكم كان لكم كل ما تريدون».

وفي موضع آخر: «إذا جاء الفارقليط الذي أبى يرسله روح الحق الذي من أبى يشهد لي، قلت لكم حتى إذا كان تؤمنون ولا تشكون فيه».

وفي موضع آخر: «إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا

---

(١) ولقد سأل الأستاذ عبد الوهاب النجار الدكتور (كارلو نيلنو) المستشرق الإيطالي عن معنى كلمة (فارقليط)، وهي تكتب أحياناً: (بارقليط)، وأحياناً: (باركليت)؛ إذ تصرف المترجمون في اللفظة لدى نقلها عن اللغات الأصلية الثلاث، وهي: العربية، والكلدانية، واليونانية. فأجاب الدكتور (كارلونيلنو): بأن معناها: (الذي له حمد كثير)، وهذا يوافق أفعل التفضيل في (أحمد). انظر كتاب: «خاتم المرسلين» للدكتور يوسف الشال، ص (٣٥).

تستطيعون عمله، لكن إذا جاء روح الحق ذاك يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للأب».

وقال يوحنا: قال المسيح: «إن أركون العالم سيأتي وليس له في شيء».

قال متى: قال المسيح: «ألم تروا أن الحجر الذي أخره البناءون صار أساً للزاوية من عند الله، كان هذا وهو عجيب في أعيننا، ومن أجل ذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى تعطي ثماره، ومن سقط على هذا الحجر ينشدخ، وكل من سقط هو عليه يمحقه».

وقد اختلف في «الفارقليط»، في لغتهم؛ فذكروا فيه أقوالاً ترجع إلى ثلاثة:

* **أحدها:**

أنه الحامد والحماد أو الحمد ـ كما تقدَّم ـ، ورجحت طائفة هذا القول، وقال الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم: أنه الحمد.

والدليل عليه: قول يوشع: «من عمل حسنة يكون له فارقليط جيد»؛ أي: حمد جيد.

* **والقول الثاني:**

وعليه أكثر النصارى: أن المخلص والمسيح نفسه يسمونه المخلص، قالوا: وهذه كلمة سريانية ومعناها: المخلص. قالوا: وهو بالسريانية: فاروق فجعل (فارق)، قالوا: و(ليط) كلمة تزاد، ومعناها: كمعنى قول العرب: رجل هو، ومجر هو، وفرس هو. قالوا: فكذلك معنى (ليط) في السريانية.

* **وقالت طائفة أخرى من النصارى:**

معناه بالسريانية: «المعزى». قالوا: وكذلك هو في اللسان اليوناني.

ويعترض على هذين القولين:

بأن المسيح لم يكن لغته سريانية ولا يونانية، بل عبرانية.

وأجيب عن هذا: بأنه يتكلم بالعبرانية، والإنجيل إنَّما نزل باللغة العبرانية، وترجم عنه بلغة السريانية والرومية واليونانية وغيرها.

وأكثر النصارى أنه: المخلص، والمسيح نفسه يسمونه: «المخلص»، وفي الإنجيل الذي بأيديهم أنه قال: «إنَّما أتيت لأخلص العالم»، والنصارى يقولون في صلاتهم: «لقد ولدت لنا مخلصاً».

ولما لم يكن للنصارى إنكار هذه النصوص، حرَّفُوها أنوعاً من التحريف:

فمنهم من قال: هو ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلوا بها الآيات والعجائب.

ومنهم: من يزعم أنه المسيح نفسه؛ لكونه جاء بعد الصلب بأربعين يوماً، وكونه قام من قبره.

ومنهم من قال: لا يعرف ما المراد بهذا الـ «فارقليط»، ولا يتحقق لنا معناه.

ومن تأمَّل ألفاظ الإنجيل وسياقها، علم أن تفسيره بالروح باطل، وأبطل منه تفسيره بالألسن النارية، وأبطل منهما: تفسيره بالمسيح، فإن روح القدس، ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده. وليست موصوفة بهذا الصفات.

وقال تعالى: **﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[1].

وقال النبي ﷺ لحسَّان بن ثابت ـ لما كان يهجو المشركين ـ: **«اللهم أيده بروح القدس»**.

وقال: **«إن روح القدس معك ما زلت تنافح عن نبيه»**.

وإذا كان كذلك، ولم يسم أحد هذه الروح «فارقليطاً»، علم أن الفارقليط أمر غير هذا.

و«أيضاً»: فمثل هذه الروح ما زالت يؤيد بها الأنبياء والصالحون وما بشر به المسيح ووعد به أمر عظيم يأتي بعده أعظم من هذا.

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

و«أيضاً»: فإنه وصل الفارقليط بصفات لا تناسب هذا الروح، وإنَّما تناسب رجلاً يأتي بعده نظيراً له، فإنه قال: «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم إلى الأبد».

فقوله: «فارقليطاً آخر»؛ دلَّ على أنه ثان لأول كان قبله، وأنه لم يكن معهم في حياة المسيح وإنَّما يكون بعد ذهابه وتوليه عنهم.

و«أيضاً»: فإنه قال: «يثبت معكم إلى الأبد»، وهذا إنَّما يكون لما يدوم ويبقى معهم إلى آخر الدهر. ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته فعلم أنه بقاء شرعه وأمره، والفارقليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه إلى الأبد، وهذا يبين أن الثاني صاحب شرع لا ينسخ، بل يبقى إلى الأبد بخلاف الأول، وهذا إنَّما ينطبق على محمد ﷺ.

و«أيضاً»: فإنه أخبر أن هذا الفارقليط الذي أخبر به، ويشهد له، ويعلمهم كل شيء ،وأنه يذكر لهم كل ما قاله المسيح، وأنه يوبخ العالم على خطيئته، فقال: «والفارقليط الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلت لكم»، وقال: إذا جاء الفارقليط الذي أبى يرسله هو يشهد أني قلت لكم هذا حتى إذا كان تؤمنون به، ولا تشكُّوا فيه.

وقال: «إنَّ خيراً لكم أن أنطلق إلى أبي، إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فهو يوبخ العالم على الخطيئة، فإن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقول لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن إذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه ليس ينطق من عند نفسه بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي ويعركم جميع ما للأب».

فهذه الصفات والنعوت التي تلقوها عن المسيح، لا تنطبق على أمر معنوي في قلب بعض الناس لا يراه أحد ولا يسمع كلامه. وإنَّما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه، فيشهد للمسيح، ويعلمهم كل شيء، ويذكرهم بكل ما قاله المسيح، ويوبخ العالم على الخطيئة، ويرشد الناس إلى جميع الحق، ولا ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع، ويخبرهم بكل ما يأتي، ويعرفهم جميع ما لرب العالمين. وهذا لا يكون ملكاً لا يراه أحد، ولا يكون هدى وعلماً في قلب بعض الناس. ولا يكون إلا إنساناً عظيم القدر يخاطب بما أخبر به المسيح، وهذا لا

يكون إلا بشراً رسولاً، بل يكون أعظم من المسيح، فإن المسيح أخبر أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح، ويعلم ما لا يعلمه المسيح، يخبر بكل ما يأتي وبما يستحقه الرب حيث قال:

«إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله، ولكن إذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب».

فلا يستريب عاقل، أن هذه الصفات لا تنطبق إلا على محمد ﷺ؛ وذلك لأن الإخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات، وعن ملائكته، وعن ملكوته، وعما أعده في الجنة لأوليائه، وفي النار لأعدائه، أمرٌ لا تحتمل عقول أكثر الناس معرفته على التفصيل...

ولهذا، ليس في الإنجيل من صفات الله تعالى، وصفات ملكوته، وصفات اليوم الآخر، إلا أمور مجملة، وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر إلا أمور مجملة، مع أن موسى ﷺ كان قد سهل الأمر للمسيح.

ومع هذا، فقد قال لهم المسيح: «إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله».

ثم قال: «ولكن إذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب».

فدلَّ هذا على أن «الفارقليط» هو: الذي يفعل هذا دون المسيح، وكذلك كان، فإن محمداً ﷺ أرشد الناس إلى جميع الحق حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة.

ولهذا كان خاتم الأنبياء، فإنه لم يبق نبي يأتي بعده غيره، وأخبر محمد ﷺ بكل ما يأتي من أشراط الساعة والقيامة والحساب والصراط ووزن الأعمال، والجنة، وأنواع نعيمها، والنار وأنواع عذابها. ولهذا كان في القرآن تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار وما يأتي أمور كثيرة لا توجد لا في التوراة ولا في الإنجيل، وذلك تصديق قول المسيح: «أنه يخبر بكل ما يأتي»، وذلك يتضمن

صدق المسيح وصدق محمد ﷺ.

و«أيضاً»: فإنه قال: «ويعرفكم جميع ما للرب»؛ فبيّن أنه يعرف الناس جميعاً ما لله، وذلك يتناول ما لله من الأسماء والصفات وما له من الحقوق وما يجب من الإيمان به وملائكته وكتبه ورسله، بحيث يكون يأتي به جامعاً لما يستحقه الربّ، وهذا لم يأت به غير محمد ﷺ.

و«أيضاً»: فإن المسيح قال: «إذا جاء الفارقليط الذي يرسله أبي فهو يشهد لي، قلت لكم هذا حتى إذا كان تؤمنوا به».

فأخبر أنه شهد له، وهذه صفة نبي بشَّر به المسيح ويشهد للمسيح؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾[1].

وأخبر أنه يوبخ العالم على الخطيئة، وهذا يستحيل حمله على معنى يقوم بقلب الحواريين، فإنهم آمنوا به وشهدوا له قبل ذهابه، فكيف يقول إذا جاء فإنه يشهد لي ويوصيهم بالإيمان به؟!

أفَتَرى الحواريين لم يكونوا مؤمنين بالمسيح؟

فهذا أعظم جهل النصارى وضلالهم[2].

❋ ❋ ❋

(١) سورة الصف، الآية: ٦.

(٢) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، ص (١٢٢ ـ ١٣١).

أبحاث الأستاذ الدكتور
زكي الدين النجار بطهطا ولفظ «أحمد»

كان الأستاذ زكي الدين النَّجار، قبطيًا يعيش بمدينة طهطها في صعيد مصر من أعمال محافظة سوهاج، وكان يميل إلى البحث والتنقيب، فدرس التوراة والأناجيل، ثم اطلع على القرآن الكريم، ولما استبان له الحق فيما دَرَسَ، اهتَدَى بنور الإسلام، ويقول:

(إن ما ورد في إنجيل متى، إصحاح ١١، عدد ١٤، وعدد ١٥، ونصه:

«وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي»).

والمعنى: إن أردتم أن تتبعوا، فاتبعوا (أحمد) الذي سيبعث؛ لأن إيليا حسابها بأعداد الجمل هو ٥٣، وهو تعداد جمل اسم النبي الكريم (أحمد)؛ لأن تعداده أيضاً بحساب الجمل وهو ٥٣.

كما أن النص الوارد في إنجيل يوحنا، إصحاح ١٤، عدد ٢٥، وهو:

(وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته).

وعبارة المعزى الروح القدس جاءَت في النسخة اليونانية؛ وذلك ترجمته: حماد، وأحمد، فهو أحمد وأُمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال، ومفتاح صلاتهم الحمد[1].

❊ ❊ ❊

(١) كتاب «الإسلام نور الأكوان»، المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة، لسيف محمد زكي الدين النجار بطهطا. نقلاً عن: «البرهان بورود اسم محمد وأحمد في الأسفار»، المستشار محمد عزت الطهطاوي، ص (٣٧، ٣٨).

إنجيل برنابا
يصرح باسم النبى محمد ﷺ

لقد ظهر في العصور الأخيرة، إنجيل يُدعى «إنجيل برنابا»، وقد ذكر في هذا الإنجيل اسم النبيّ محمد ﷺ.

ولكن النصارى لا يعترفون بهذا الإنجيل، بل ويزعمون أن كاتب هذا الإنجيل هو أحد المسلمين، ثم نسبه إلى برنابا.

وهذا زعم متهافت؛ لأن البحث العلمي أثبت أن إنجيل برنابا كان معروفاً لدى النصارى قبل ظهور الإسلام.

ففي عام ٤٩٢م أصدر البابا «جلاسيوس الأول»، أمراً يحرم مطالعة عدد من الكتب، كان منها: كتاب يسمى بـ «إنجيل برنابا».

إذاً، من المعروف تاريخياً أن هناك كتاباً اسمه «إنجيل برنابا»، موجود قبل الإسلام.

وقد قام بترجمة إنجيل برنابا إلى العربية أحد النصارى وهو الدكتور خليل سعادة، الذي يتحدث عن لغة التأليف لهذا الإنجيل فيقص علينا قصتين:

الأولى: تتعلق بالتدوين باللغة الإيطالية.

الثانية: تتعلق بالتدوين باللغة الإسبانية.

❊ ❊ ❊

النسخة الإيطالية

* كان «فرامرينو» راهباً لاتينياً، عثر على رسائل كان «أرينايوس» قد كتبها ليندد فيها بالقديس بولس، وأن «أرينايوس» أسند تنديده هذا إلى إنجيل القديس برنابا، فأصبح «فرامرينو» من ذلك الحين شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل، واتفق أنه أصبح فى حين من الزمان مقرباً من الباب سكتس الخامس فحدث يوماً أنهما دخلا معاً مكتبة البابا، فران الكرى على أجفان الباب. فأحب «فرامرينو» أن يقتل الوقت بالمطالعة إلى أن يفيق البابا... فكان الكتاب الذي وضع يده عليه أولاً هو إنجيل برنابا فكاد أن يطير فرحاً بهذا الاكتشاف، فخبأه إلى أن استأذن البابا بعد أن أفاق من نومه وانصرف حاملاً ذلك الكنز الذي طالما اشتاق إلى مطالعته... ولم يلبث ملياً بعد مطالعته أن اعتنق الدين الإسلامي.

هذه رواية الراهب «فرامرينو» على نحو ما هو مدون في مقدمة النسخة الإسبانية ـ كما رواها المستشرق «سايل» ـ في مقدمة له لترجمة القرآن الكريم.

* وبعد حلقة مفقودة ... عثر «كريمر» أحد مستشاري ملك بروسيا على هذه النسخة الإيطالية، وكان مقيماً وقتئذ في «أمستردام» فأخذها سنة ١٧٠٩م من مكتبة أحد مشاهير وجهاء المدينة، ولم يزد «كريمر» على تعريف صاحبها بغير هذه الألقاب المبهمة، إلا أنه ذكر في عرض الكلام عنه: أن هذا الوجيه كان يعد النسخة المنوه عنها ثمنية جداً فأقرضها «كريمر»، ثم بعد أربعة أعوام أهداها إلى البرنس «إيوجين سافوي» الذي كان مولعاً بالعلوم والآثار التاريخية رغم كثرة حروبه ومشاغله السياسية.

ثم انتقلت النسخة المذكورة عام ١٧٣٨م مع سائر مكتبة البرنس المنوه عنه، إلى مكتبة البلاط الملكي في «فيينا»، حيث لا تزال هناك حتى الآن، وتقع في (٢٢٥) صحيفة سميكة مجلدة تجليداً متيناً ولون التجليد أدكن ضارب إلى الصفرة النحاسية.

ويذهب البعض إلى أن هذا التجليد قد يكون من صنع مجلدين استدعاهم الدوق «دي سافوي».

النسخة الإسبانية

* في أوائل القرن الثامن عشر، وجدت نسخة مكتوبة باللغة الإسبانية تقع في اثنين وعشرين ومئتي فصل (٢٢٢)، تقع في عشرين وأربعمائة صحيفة (٤٢٠ صحيفة)، وكانت حالتها ـ كما يدعي الدكتور خليل سعادة ـ : جرّ عليها الدهر ذيل العفاء، فطمست آثارها، ودرست رسومها هذه النسخة، أقرضها دكتور (هلم) من «دهلي»، المستشرق الشهير «سايل»، ثم تناولها بعد «سايل» الدكتور «منكهوس» أحد أعضاء كلية الملكة في أكسفورد.

*** الترجمة ومصير النسخة الإسبانية:**

وقد نقلها الدكتور «منكهوس» من اللغة الإسبانية إلى اللغة الإنجليزية، ثم أعطى الأصل للنسخة الإسبانية وترجمتها الإنجليزية إلى الدكتور «هويت» أحد مشاهير الأساتذة.

*** الأمانة العلمية عند هويت:**

يقول الدكتور «خليل سعادة»: «بخصوص النسخة الإسبانية التي لم أعثر على كيفية فقدانها سوى أنه عهد بترجمتها إلى الدكتور «منكهوس»، فدفعها إلى الدكتور «هويت»، ثم طمس بعد ذلك خبرها ومحى أثرها . . .

ـ الدكتور «هلم» أقرض النسخة الإسبانية إلى المستشرق «سايل».

ـ المستشرق «سايل» أعطاها إلى الدكتور «منكهوس». و«منكهوس» هو الذي نقلها إلى الإنجليزية.

ـ «منكهوس» دفع بالنسخة الإسبانية التي هي الأصل مع الترجمة التي قام بها إلى الدكتور «هويت» عام ١٧٨٤م.

ـ وعند الدكتور «هويت» تختفي النسخة أصلاً وترجمة. ولم يظهر عنده إلا شذرات في محاضراته على طلابه».

يقول الدكتور «خليل سعادة»: «ولقد أشار الدكتور «هويت» المنوه عنه في

إحدى الخطب التي كان يلقيها على الطلبة إلى هذه النسخة، حيث استشهد ببعض الشذرات منها، ولقد طالعت هذه الشذرات وقابلتها بالترجمة الإنكليزية المنقولة عن النسخة الإيطالية الموجودة الآن في مكتبة بلاط «فيينا»، فوجدت الإسبانية ترجمة حرفية عن تلك ولم أر بينهما فرقاً يستحق الذكر».

والسؤال الآن موجه إلى الدكتور «هويت»: لِمَ أخفيت الأصل الإسباني، وترجمة الدكتور «منكهوس»؟

* هل يرجع السبب إلى الخوف الشديد من ظهور الترجمة وسط المسيحيين حتى لا يتحولوا إلى الإسلام كما تحول من قبل الراهب اللاتيني «فرامرينو»؟ . . .

*** ليس هذا الإنجيل عربياً:**

يذهب الدكتور «خليل سعادة»، إلى أن إنجيل برنابا ليس عربياً، ويخطىء الدكتور «هويت» في زعمه الذي نشره عام ١٧٨٤م من أن النسخة العربية موجودة في الشرق، فيقول:

«إنه قول مبني على السماع؛ لأنه لم يعثر على نسخة عربية لإنجيل برنابا قط».

ثم إنه لم يُذكر في كتابات مشاهير كتَّاب المسلمين، سواء من الأعصر القديمة أو الحديثة حتى ولا في مؤلفات من انقطع منهم إلى البحث والمحاورة الدينية، مع أن إنجيل برنابا يُعَدُّ لهم أمضى سلاح في مثل تلك المناقشات.

بل لم يرد له ذكر في فهارس الكتب العربية القديمة عند الأعارب والأعاجم، أو المستشرقين الذين وضعوا الفهارس لأندر الكتب العربية من قديم أو حديث.

*** تشكيك ليس عليه دليل:**

غير أن الدكتور «سعادة» الذي نقل إنجيل برنابا من الإنجليزية إلى العربية عام ١٩٠٨م، يذهب عاطفياً دون دليل، إلى أن الأصل العربي، وإن فقد، فإنه يميل إلى أن الأصل العربي كان موجوداً، ولئن لم يكن كاتبه عربياً، فهو يرى أنه يهودي أندلسي أسلم.

وهذا الرأي غير سليم من الناحية العقلية والتاريخية، فأية مصلحة ليهودي إذا أسلم أن يترجم أو يكتب إنجيلاً ينسبه إلى برنابا؟ رغم أن اليهودي لا يؤمن

بعيسى!

فموقف الصدوقيين والكتبة والفريسيين على نحو ما شرحه لنا «شارل جنبير» معروف بأنهم كانوا يكرهون «يسوع»، فلماذا يرتكب يهودي الشطط ليؤلف كتاباً مسيحياً؟

وإذا كان هذا اليهودي قد أسلم، فما فائدة ترجمة إنجيل برنابا في إسلامه؟!

بل هو كمسلم ممنوع من قراءة شيء من التوراة والإنجيل أو الإنجيل؟

فقد روى في مسند الإمام أحمد - رضي الله عنه - عن جابر - رضي الله عنه -: أتى سيدنا عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ قال: فغضب، وقال: «أتتهوكون فيها يا ابن الخطاب. والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية. **لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه، أو بباطل فتصدقونه، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني**».

وفي رواية أخرى: «**والذي نفسي بيده، لو أصبح فيكم موسى، ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين**».

*** ليس إنجيل برنابا وحده الذي يقول بنبوة عيسى:**

والذي يجعلنا نرفض ما ذهب إلى افتراضه الدكتور «خليل سعادة»: أنه هو نفسه يذكر أن إنجيلاً مماثلاً لمحتويات إنجيل برنابا كان قد ظهر قبل إنجيل برنابا هو الإنجيل الأغنسطى.

يقول الدكتور «خليل سعادة»: بيد أن هناك إنجيلاً يسمى الإنجيل الأغنسطي طمست رسومه وعفت آثاره يبتدئ بمقدمة تندد بالقديس بولس وينتهي بخاتمة فيها مثل ذلك التنديد، ويذكر أن ولادة عيسى كانت بدون ألم. ولما كان كل ذلك في إنجيل برنابا، فمن المحتمل أن يكون ذلك الإنجيل الأغنسطى أباً لإنجيل برنابا.

فهل الإنجيل الأغنسطى كذلك كتبه يهودي أندلسي أسلم؟!!

ما دام إنجيل برنابا قد سبق بإنجيل مماثل له في المحتوى والتنديد ببولس، فَلِمَ لم تربط بين الإنجيلين في الموضوع بدل أن تفترض أن إنجيل برنابا ألفه يهودي أندلسي أسلم؟

*** سبب تأليف هذا الإنجيل:**

والسبب الذي من أجله كتب برنابا إنجيله، مدون في مقدمته، فيقول:

«أيها الأعزاء، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً مجوّزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع، لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً».

فالعلّة الباعثة على كتابة هذا الإنجيل: هي تلك التعاليم المنحرفة ـ في نظر برنابا ـ عن التعاليم التي كان يسمعها من يسوع الذي عاشر معه وعاصره.

وفي عداد العابثين المضللين «بولس» الذي من أجله كتب برنابا إنجيله.

وإذاً، فإنجيل برنابا معروف كاتبه ومعروف سبب الكتابة واللغة التي دوّن بها: الإيطالية، والإسبانية، وتاريخ التدوين مجهول.

وقد رفض الباب «جلاسيوس» عدة أناجيل، كان من بينها إنجيل برنابا؛ لأنه لا يتفق مع مبادئ مسيحية «بولس»[1].

*** أمثلة مما ورد عن اسمه الشريف في إنجيل برنابا بلفظ (محمد):**

١ ـ ورد في الفصل الرابع والخمسين من عدد ١ إلى عدد ١١، عندما استكمل المسيح كلامه عن يوم الدينونة:

(فمتى مرت هذه العلامات تغشى العالم ظلمة أربعين سنة ليس فيها من حي إلا الله وحده الذي له الإكرام والمجد إلى الأبد، ومتى مرّت الأربعون سنة، يحيى الله رسوله الذي سيطلع أيضاً كالشمس، بيد أنه متألق كألف شمس، فيجلس ولا يتكلم؛ لأنه سيكون كالمخبول، وسيقيم الله أيضاً الملائكة الأربعة المقربين لله الذين

---

(١) «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء»، دكتور رؤوف شلبي، ص (١٧٧ ـ ١٨٤) باختصار يسير.

ينشدون رسول الله فمتى وجدوه قاموا على الجوانب الأربعة للمحل حراساً، ثم يحيى الله بعد ذلك سائر أنبيائه الذين سيأتون جميعهم تابعين لآدم فيقبلون يد رسول الله واضعين أنفسهم في كنف حمايته ثم يحيى الله بعد ذلك سائر الأصفياء الذين يصرخون: اذكرنا يا محمد، فتتحرك الرحمة في رسول الله لصراخهم وينظر فيما يجب فعله خائفاً لأجل خلاصهم).

٢ ـ ورد في الفصل الثالث والستين بعد المائة من عدد ٣ إلى عدد ١١ قوله:

(حينئذ قال يسوع: أيها الإخوة، إن سبق الاصطفاء لسر عظيم حتى أني أقول لكم الحق، إنه لا يعلمه جلياً إلا إنسان واحد وهو الذي تتطلع إليه الأمم، الذي تتجلى له أسرار الله تجلياً، فطوبى للذين سيصغون السمع إلى كلامه متى جاء إلى العالم؛ لأن الله سيظلهم كما تظلنا هذه النخلة، بل إنه كما تقينا هذه الشجرة حرارة الشمس المتلظية هكذا، تقي رحمة الله المؤمنين بذلك الاسم من الشيطان، أجاب التلاميذ يا معلم! من عيسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم؟

أجاب يسوع بابتهاج: قلت: إنه (محمد رسول الله)، ومتى جاء إلى العالم، فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التي يأتي بها، كما يجعل المطر الأرض تعطي ثمراً بعد انقطاع المطر زمناً طويلاً، فهو غمامة بيضاء ملأى رحمة الله وهي رحمة ينشرها الله رذاذاً على المؤمنين كالغيث).

٣ ـ ورد في الفصل العشرين بعد المائتين من عدد ١٩ إلى عدد ٢٠ قول المسيح عليه السلام:

(فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئاً في العالم أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أني أنا الذي مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله).

*** كما ورد في إنجيل برنابا ـ أيضاً ـ ذكر النبي ﷺ بالوصف:**

فقد ورد في الفصل الثاني والسبعين:

(أجاب يسوع: لا تضطرب قلوبكم ولا تخافوا، لأني لست أنا الذي

خلقكم، بل الله الذي خلقكم يحميكم. أما من خصوصي، فإني قد أتيت لأهيئ الطريق لرسول الله الذي سيأتي بخلاص العالم. ولكن احذروا أن تغشوا؛ لأنه سيأتي أنبياء كذبة كثيرون، يأخذون كلامي، وينجِّسُون إنجيلي).

«حينئذٍ قال أندراوس: «ما معلم، اذكر لنا علامة لنعرفه».

«أجاب يسوع: «إنه لا يأتي في زمنكم، بل يأتي بعدكم بعدة سنين، حينما يبطل إنجيلي، ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمناً. في ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل رسوله الذي تستقرّ على رأسه غمامةٌ بيضاء يعرف أحد مختارى الله، وهو سيظهره للعالم، وسيأتي بقوة عظيمة على الفُجَّار، ويبيد عبادة الأصنام من العالم. وإني أسرٌّ ذلك؛ لأنه بواسطته سيعلى ويمجد الله، ويظهر صدقى. وسينتقم من الذين سيقولون إني أكبر من إنسان».

***

ورود اسم (أحمد) و (محمد)

في بعض أسفار الأنبياء الملحقة بالتوراة

إن المتتبع لأسفار الأنبياء الملحقة بالتوراة، يجد أن لفظ (أحمد) ورد بها أيضاً طبقاً للآتي:

أولاً: سفر أشعياء:

١ - ورد في كتاب «خلاصة المسلمين» المؤلف باللسان الأردي في صفحة (٦٣، ٦٤) بمعرفة الشيخ حيدر على القرشي: أن القسيس أوسكاد الأرمني ترجم سفر أشعياء باللغة الأرمنية وطبع سنة ١٧٣٣م بمطبعة أنتوني بورتلى ويوجد في الإصحاح ٤٢ هذه الفقرة:

(سبحوا الله تسبيحاً جديداً وأثر سلطنة على ظهره واسمه أحمد).

يشير بذلك إلى خاتم النبوة الذي كان كرز الحجلة في ظهر النبي ﷺ.

٢ ـ وبالرجوع إلى الإصحاح ٤٢ من سفر النبي أشعياء عدد (١) في ترجمته العربية المتداولة، نجده كالآتي:

(هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته).

ثم أشار في عدد ١١ من نفس الإصحاح إلى البلاد التي يكون فيها، فقال:

(لترفع البرية ومدتها صوتها الديار التي سكنها قبدار لتترنم سكان سالع).

وقبدار هذا هو أحد أبناء إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ، كما جاء في سفر التكوين في الإصحاح ٢٥ عدد ١٣.

وعن «سالع»: عن جبل سلع بالمدينة المنورة؛ إذ الأصل العبراني (سكان سلع)، وبذلك يتضح أن مبعث هذا المختار يكون في تلك البلاد، ألا وهي: بلاد العرب.

ثانياً: سفر حبقوق:

ورد في الإصحاح الثالث من سفر حبقوق عدد ٣ قوله:

(الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران سلاه جلاله عظمى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور، له من يده وشعاع، وهناك استتار قدرته، قدامه ذهب الوبا وعند رجليه فرجت الحمى، وقف وقاس الأرض نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم).

والترجمة الحرفية للنص العبري عن العبارات السالفة، يتبين أنها كالآتي:

(الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران سلاه جلاله غطى السموات، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد وملك بيمينه رقاب الأمم).

وإذا رجعنا إلى النسخة المطبوعة في لندن قديماً سنة ١٨٤٨م والأخرى المطبوعة في بيروت سنة ١٨٨٤م أو النسخ القديمة قبل ذلك، نرى النص كالآتي:

(الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران لقد أضاءت السماء من بهاء (محمد)، وامتلأت الأرض من حمده وشاع منظره مثل النور يحوط بلاده بعزة تسير المنايا وتصحب سباع الطير أجناده، قام فمسح الأرض فتضعضعت له الجبال القديمة وتزعزعت ستور أهل اليمن).

ثم قال:

(زجرك في الأنهار واحتدام صوتك في البحار يا محمد ادنو لقد رأتك الجبال فارتاعت).

فإنه بالنص العبري (أحمد)، وبالنصوص المطبوعة في لندن وبيروت قديماً (محمد)، وأشار إلى موطنه جبال فاران وتعني: جبال مكة وما حولها، طبقاً لما ذكره الثقاة المؤرخون.

ثالثاً: سفر حجى:

ورد في سفر حجى بالإصحاح الثاني عدد (٦):

(قال: رب الجنود من بعد قليل، فأزلزل الأرض والسموات والبحر واليابسة وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجداً).

ومشتهى كل الأمم المذكور في السفر السابق، أصله العبراني: (حمدون)؛ أي: (محمود) الأمم وهو من اشتقاقات لفظ (الحمد)؛ مما يشير إلى رسول الله محمد ﷺ؛ بدليل: أنه أُضيف إلى الأمم. أي أن هذا المشتهى أو الرسول، لا يأتي برسالة قاصرة على قومه فقط، بل تكون رسالته إلى الأمم كافة، ولم يتحقق ذلك إلا لنبي الإسلام، محمد ﷺ؛ إذ كانت رسالته إلى الأبيض والأحمر وإلى الناس كافة والعالمين جميعاً.

رابعاً: سفر ملاخى:

ورد في سفر ملاخى في الإصلاح الرابع، عدد (٥):

(هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم؛ لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن).

وبحساب الجمل الذي يعتمده اليهود، يلاحظ أن تعداد جمل كلمة إيليا ٥٣ وهو نفس تعداد جمل كلمة (أحمد)، وبذلك يكون المعنى طبقاً لهذا الحساب:

(هأنذا أرسل إليكم أحمد النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم، آتي وأضرب الأرض بلعن)[1].

* * *

(١) «البرهان بورود اسم محمد وأحمد في الأسفار»، المستشار محمد عزت الطهطاوي، ص (٦١ ـ ٦٥).

الباب الرابع

إخبار أهل الكتاب ومُتَحَنِّفَة العرب بمولد محمد ﷺ وبعثته

إخبار أهل الكتاب ومُتَحَنِّفَة العرب بمولد محمد ﷺ وبعثته

من الأعاجيب الكونية والخوارق المعجزة - التي تستند إلى روايات تاريخية صحيحة ترويها المصادر العالية من كتب الحديث والسنَّة ودواوين التاريخ، ويؤيدها القرآن الكريم بالإشارة إلى منابعها التي تُستقى منها - بشائر أهل الكتاب من اليهود والنصارى وإنباءاتهم بزمن مولده ﷺ وبعثته، وبحثهم عن بلده وأسرته، وتعرّف أخباره وأحواله والكشف عن أوصافه ونعوته، اعتماداً على ما ذكرته كتبهم المقدسة، وتناقله أخلافهم عن أسلافهم من التنويه بذكره والتصريح باسمه ودلائل وجوده وتعيين بعض خصائصه، مما لا يقدم على إنكاره إلا ممارٍ مكابر أو معاند جاحد.

وقد كان لذلك من المد والجزر في تيار الرسالة المحمدية ما سجله القرآن الحكيم في كثير من آياته البينات، ففيهم نزل قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

فهم، قبل أن يستبين لهم حظهم من رسالته، كانوا يظهرون ما عندهم من دلائل وأمارات يعرفون بها أمر محمد ﷺ معرفة لا يداخلها شكّ، ولما طغت عليهم نزعات البغي والحسد، دفعتهم إلى كل خبيثة من خبائث الفجور والغدر وكتمان ما علموا من الحق، وتحريف ما وجدوا من الآيات إلا من عصم الله من خيرتهم الذين استجابوا لله وللرسول[2]، وكان من هؤلاء:

* * *

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.
(٢) «محمد رسول الله ﷺ»، (١/١١٩).

الراهب بحيرا

التقى النبي ﷺ قبل أن يبعث نبياً ورسولاً، مع راهب من رهبان النصارى، وقد شهد هذا الراهب للنبي ﷺ بالنبوة والرسالة، وأنه سيد العالمين.

وقصة التقاء النبي ﷺ بهذا الراهب، قد رواها من الصحابة: أبو موسى الأشعري، ومن التابعين الأجلاَّء: أبو مجلز لاحق بن حميد ـ رحمه الله ـ. وورد ذلك عنهما بإسنادين صحيحين.

*** أمَّا رواية أبي موسى الأشعري:**

فأخرجها الترمذي في سننه (٤/٤٩٦)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/٦١٥ ـ ٦١٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/١٨٧ ـ ١/١٨٨)، بأسانيد متعددة، عن قرار ابن أبي نوح: أنبأ يونس ابن أبي إسحاق، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه، قال: خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش. فلما أشرفوا على الراهب[1]، هبطوا فحلّوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب. وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت. قال: فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ، وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرَّ ساجداً. ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به، وكان هو في رعية الإبل، قال: أرسلوا إليه. فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجد القوم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة، مال

(١) هذه الحادثة لم يذكر فيها اسم الراهب، وإنَّما قد ورد اسمه بـ «بحيرا» في بعض الروايات الواهية في إحداها الواقدي، وهو كذاب. وفي الأخرى محمد بن إسحاق صاحب السيرة رواها بدون إسناد، وهاتان الروايتان هما عمدة كل المؤرخين الذين سموه بهذا الاسم، على أن بعض مؤرخينا؛ كالمسعودي وغيره، ذكر أن اسمه «جرجس»، والله أعلم بالصواب.

عليه. الحديث بطوله.

وحسَّنه الترمذي وإسناده جيد، وقد صححه الحاكم، والجزري، وقواه العسقلاني والسيوطي...

*** وأمَّا رواية أبي مجلز:**

فأخرجها ابن سعد في «الطبقات الكبرى»، قال (١/ ١٢٠): أخبرنا خالد بن خراش، أخبرنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يحدِّث عن أبي مجلز: أن عبد المطلب أو أبا طالب ـ شك خالد ـ قال: لما مات عبد الله عطف على محمد ﷺ، قال: فكان لا يسافر سفراً إلا كان معه فيه، وإنه توجه نحو الشام فنزل منزله فأتاه فيه راهب، فقال: إن فيكم رجلاً صالحاً، فقال: إن فينا من يقري الضيف ويفك الأسير، ويفعل المعروف، أو نحواً من هذا، ثم قال: إن فيكم رجلاً صالحاً، ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟ قال: ها أنا ذا وليه، أو قيل: هذا وليه، قال: احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام، إن اليهود حُسَّدٌ، وإني أخشاهم عليه، قال: ما أنت تقول ذاك ولكن الله يقول، فرده، ثم قال: اللهم أستودعك محمداً، ثم إنه مات.

وهذا إسناد مرسل صحيح، فإن أبا مجلز واسمه لاحق بن حميد، تابعي ثقة جليل، احتج به الشيخان في صحيحيهما، وبقية أصحاب الكتب الستة، وأخذ الحديث عن جماعة من الصحابة؛ منهم: عمران بن حُصَيْن، وأم سلمة زوج النبي ﷺ، وأنس، وجندب بن عبد الله وغيرهم. ومن بينه وبين ابن سعد كلهم عدول ثقات، احتج بهم مسلم في صحيحه[1].

* * *

(١) انظر: «مقالات الألباني»، جمعها: نور الدين طالب، ص (١١٨ ـ ١٢٠)، ط. دار أطلس للنشر والتوزيع.

يهودي يخبر بقرب ظهور النبي ﷺ

روى ابن إسحاق عن سلمة بن سلامة بن وقش ـ وكان من أهل بدر ـ قال:

كان لنا جار من يهود بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل ـ قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً، على فروة لي مضطجع فيها بفناء أهلي ـ فذكر القيامة والبعث، والحساب، والميزان، والجنة، والنار. قال: فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت. فقالوا له: ويحك يا فلان! أوَتَرَى هذا كائناً، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟! قال: نعم، والذي يحلف به، ويَوَدُّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار يُحمونه، ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه، وأن ينجو من تلك النار غداً.

قالوا: ويحك يا فلان! فما آية ذلك؟

قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده إلى نحو «مكة، واليمن».

قالوا: ومتى تراه؟

قال: فنظر إليَّ وأنا من أحدثهم سناً، فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه.

قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسول ﷺ وهو حَيٌّ بين أظهرنا، فآمنا به، وكفر به بغياً وحسداً.

قال: فقلنا له: ويحك يا فلان! ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟! قال: بلى، ولكن ليس به[1].

* * *

(١) صحيح. رواه: ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» ص (١٦)، وزاد في آخره: «وكان يُقال له: يوشع». ورواه أيضاً: الإمام أحمد (٣/ ٤٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤١٧ ـ ٤١٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

ابن الهيِّبان اليهودي يخبر بقرب بعثة النبي ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن شيخ من بني قُريظة، قال لي: هل تدري عمَّ كان إسلام ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعيد، وأسد بن عبيد؟ نفر من بني هدل إخوة بني قريظة، كانوا معهم في جاهليتهم، ثم كانوا ساداتهم في الإسلام. قال: قلت: لا والله. قال:

فإن رجلاً من اليهود من أرض الشام يُقال له: ابن الهيِّبان قدم علينا قبل الإسلام بسنين، فحلَّ بين أظهرنا، لا والله، ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه، فأقام عندنا، فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له: اخرج يا ابن الهيِّبان فاستسق لنا. فيقول: لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة. فنقول: كم؟ فيقول: صاعاً من تمر، أو مدَّين من شعير. قال: فنخرجها، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا، فوالله ما يبرح مجلسه حتى تمر السحاب ويسقى. قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث.

قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميت، قال: يا معشر يهود! ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: قلنا: أنت أعلم.

قال: فإني إنَّما قدمت هذه البلدة أتوكَّف[1] خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلدة مهاجَره، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، وقد أظلكم زمانه، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشر يهود فإنه يبعث بسفك الدماء وسبى الذراري ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه.

فلما بُعثَ رسول الله ﷺ، وحاصر بني قريظة، قال هؤلاء الفتية ـ وكانوا شباباً أحداثاً ـ : يا بني قريظة! والله إنه للنَّبيُّ الذي عهد إليكم فيه ابن الهيِّبان. قالوا: ليس به. قالوا: بلى والله، وإنه لهو بصفته، فنزلوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم[2].

❊ ❊ ❊

(١) أي: أتوقع وأنتظر.

(٢) صحيح. رواه: ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام»، (١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» ص (١٩).

النجاشي ملك الحبشة
يشهد للنبي ﷺ بالرسالة
وأنه الرسول الذي بشَّر به عيسى ابن مريم

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً، فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى الأشعري، فأتوا النجاشي.

وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية.

فلما دخلا على النجاشي سجدا له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالا له: إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا.

قال: فأين هم؟ قالا: في أرضك، فابعث إليهم.

فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم. فاتَّبَعُوه.

فسلم ولم يسجد، فقالوا له: مالك لا تسجد للملك؟

قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل.

قال: وما ذاك؟

قال: إن الله بعث إلينا رسولاً، ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلاَّ لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة.

قال عمرو: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم.

قال: فما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟

قال: نقول كما قال الله: هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر، ولم يفرضها[1] ولد.

(١) أي: لم يؤثر فيها، ولم يَحُزَّها، يعني: قبل المسيح عليه السلام.

قال: فرفع عوداً من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان! والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا[١] مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده. أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الرسول الذي بشَّر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه وأوضئه.

وأمر بهدية الآخرين فردَّت إليهما[٢].

❊ ❊ ❊

(١) يعني: أن عيسى ابن مريم مخلوق كما أن هذا العود مخلوق.

(٢) حسن. رواه: الإمام أحمد (١/٤٦١)، والحاكم (٢/٦٢٣)، وابن سيد الناس في «عيون الأثر» (١/١١٨)، وحسَّنه الحافظ في «الفتح» (٧/١٨٩)، وقال ابن كثير: «هذا إسناد جيد قويّ، وسياقه حسن».

هرقل ملك الروم
يشهد للنبي ﷺ بالرسالة

عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً. فقال: ادنوه مني، وقرِّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائلٌ هذا الرجل، فإن كذبني فكذِّبوه، فوالله لولا الحياءُ من أن يأثروا عليَّ كذباً لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أنْ قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحدٌ قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تُمكِّني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إيَّاهُ؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم. ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أنْ لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسى بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من

ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت: أن لا. فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت: أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت: أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت: أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت: أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قَدَمَيَّ هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه، لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لَغَسَلْتُ عن قدمه[1].

قال الحافظ ابن حجر (قوله) [يعني هرقل]: «فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها».

الظاهر: أن إخبار هرقل بذلك بالجزم، كان عن العلم المقرر عنده في الكتاب السالفة[2].

❊ ❊ ❊

(١) رواه: البخاري في «بدء الوحي» (٦).
(٢) «فتح الباري» (١/٤٨).

راهب نصراني
يخبر سلمان الفارسي بقرب ظهور النبي ﷺ ويصفه له

عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: حدَّثني سلمان الفارسي ـ مِنْ فيه ـ قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان، من أهل قرية يُقال لها: جَيّ، وكان أبي دِهْقَان[1] قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطِن النار[2] الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة. قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة، فشغل في بنيان له يوماً فقال لي: يا بني! إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب إليها فاطلعها. وأمرني فيها ببعض ما يريد، ثم قال لي: ولا تحتبس عني، فإنك إن احتبست عني كنت أهم إليَّ من ضيعتي، وشغلتني عن كل شيء من أمري.

قال: فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعت أصواتهم، دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما بَرَحتُهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي، فلم آتها. ثم قلت لهم: أين أهل هذا الدين؟ قالوا: بالشام. فرجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي وشغلته عن أمره كله.

فلما جئت، قال: أي بني أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟

قال: قلت: يا أبت مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من

---

(١) «الدهقان»: هو زعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم.
(٢) أي: خادمها.

دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس.

قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه.

قال: قلت: كلا والله إنه لخير من ديننا.

قال: فخافني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى، فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم.

قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، فأخبروني بهم، فقلت: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني.

قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبرني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها، قلت: مَنْ أفضل هذا الدين علماً؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة.

قال: فجئته فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك، وأخدمك في كنيستك، وأتعلم منك، وأصلي معك. قال: ادخل، فدخلت معه، فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا له شيئاً كنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع كلال من ذهب وَوَرِق[1].

قال: وأبغضته بغضاً شديداً؛ لما رأيته يصنع.

ثم مات، واجتمعت له النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها، كنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً.

قال: فقالوا لي: وما علمك بذلك؟

قال: فقلت لهم: أنا أدلكم على كنزه.

---

(١) أي: فضة.

قالوا: فدلنا.

قال: فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع كلال مملوءة ذهباً وَوَرِقاً، فلما رأوها قالوا: لا ندفنه أبداً.

قال: فصلبوه ورموه بالحجارة. وجاءوا برجل آخر فوضعوه مكانه.

قال سلمان: فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه، وأزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه.

قال: فأحببته حباً لم أحب شيئاً قبله مثله.

قال: فأقمت معه زماناً، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: إني قد كنت معك، وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصى بي؟ وبم تأمرني؟

قال: أي بني، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه، لقد هلك الناس وبدَّلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل، وهو فلان، وهو على ما كنت عليه، فالْحَق به.

قال: فلما مات، وغُيِّبَ، لحقت بصاحب الْمُوصِل.

فقلت: يا فلان! إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، فقال لي: أقم عندي.

فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان! إن فلاناً أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصى بى؟ وبم تأمرني؟

قال: يا بني، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه، إلا رجلاً بنَصيبين، وهو فلان، فالْحَقْ به.

فلما مات وغُيِّبَ لحقت بصاحب نصيبين، فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحباى.

فقال: أقم عندي. فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حُضِر قلت له: يا فلان، إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصى به؟ وبم تأمرني؟

قال: يا بني، والله ما أعلم بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجل بعمُّوريَّة من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فائته فإنه على أمرنا.

فلما مات وغُيِّبَ، لحقت بصاحب عمورية، فأخبرته خبري، فقال: أقم عندي. فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه.

قال: واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة.

قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حُضِر قلت له: يا فلان، إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصى به؟ وبم تأمرني؟

قال: أي بنيّ، والله ما أعلم أصبح أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجَرُهُ إلى أرض بين حرتين[1] بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغُيِّبَ ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث.

ثم مرَّ بي نفر من كَلْب تجار، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه.

قالوا: نعم. فأعطيتهموها وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القرى

---

(١) «الحرة»: كل أرض ذات حجارة سوداء.

ظلموني، فباعوني من رجل يهودي عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يَحِقَّ في نفسي.

فبينا أنا عنده، إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة، فابتاعاني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها، فعرفتها بصفة صاحبي لها، فأقمت بها.

وبُعثَ رسول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام، ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرِّق، ثم هاجر إلى المدينة.

فوالله، إني لفي رأس عذق[1] لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس تحتي إذ أقبل ابن عم له حتى وقفْ عليه فقال: يا فلان، قاتل الله بني قيلة[2]، والله إنهم لمجتمعون الآن بقباء[3] على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي.

قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني الرِّعْدَةُ[4]، حتى ظننت أني ساقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟

قال: فغضب سيدي، فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك.

قال: فقلت: لا شيء، أنا أردت أن أستثبته عما قال.

قال: وكان عندي شيء جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم.

قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ: «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل. فقلت

---

(١) «العذق»: ـ بفتح العين ـ: النخلة.

(٢) يعني: الأنصار.

(٣) قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة، وقد اتصل بنيانها اليوم بالمدينة فصارت ضاحية منها.

(٤) الرعدة: الانتفاض والبرد.

في نفسي : هذه واحدة.

ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً، وتحوّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته فقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه.

قال: فقلت في نفسي: هاتان ثنتان.

قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه، وعليه شملتان، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدبرته أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته، عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «تحوَّل»، فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذاك أصحابه.

ثم شغل سلمانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسول الله بدر وأحد.

قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «**كاتبْ يا سلمان**»[١].

فكاتبني صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير[٢]، وأربعين أوقية[٣]. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أعينوا أخاكم**».

فأعانوني في النخل: الرجل بثلاثين ودِيَّة[٤]. والرجل بعشرين ودية، والرجل بخمس عشرة ودية، والرجل بعشرة، يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: «**اذهب يا سلمان فَفَقِّر لها، فإذا فرغت فائتني أكن أنا أضعها بيدي**».

---

(١) «المكاتبة»: معناها أن يفتدي العبد نفسه من سيده نظير ثمن يتفقان عليه يدفعه العبد لسيده.

(٢) أي: بالحفر والغرس، وفي القاموس: (الفقير: البئر التي تغرس فيها الفسيلة).

(٣) أي: من الفضة.

(٤) هي واحدة الودى: فراخ النخل الصغار.

قال: ففقرت، وأعانني أصحابى، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معى إليها، فجعلنا نقرب إليه الودىَّ، ويضعه رسول الله ﷺ بيده، حتى إذا فرغنا، فوالذى نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة.

فأديت النخل وبقي عليَّ المال، فَأُتِىَ رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال: «**ما فعل الفارسي المكاتب؟**». قال: فَدُعِيتُ له، قال: «**خذ هذه فأدِّها مما عليك يا سلمان**». قال: قلت: وأين تقع هذه مما عليَّ يا رسول الله؟ قال: «**خذها فإن الله سيؤدي بها عنك**». قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم.

وعُتِقَ سلمان. فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حراً، ثم لم يفتني معه مشهد[1].

* * *

(١) صحيح. رواه: ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام». ومن طريق ابن إسحاق أخرجه: الإمام أحمد (٥/ ٤٤١ ـ ٤٤٤)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» ص (٨٧ ـ ٨٩)، وكذا ابن سعد والبيهقي كما في «الخصائص الكبرى» للسيوطي (١/ ٤٨)، وعلّق البخاري بعضه.

يهودي يخبر باسم النبي ﷺ وصفاته التي في توراة بني هارون

روى الواقدي عن ثعلبة بن أبي مالك: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سأل أبا مالك ثعلبة بن هلال، وكان من أحبار اليهود، فقال: أخبرني عن صفات النبي ﷺ في التوراة، فقال: إن صفته في توراة بني هارون التي لم تغير ولم تبدل هي:

(أحمد من ولد إسماعيل بن إبراهيم وهو آخر الأنبياء، وهو النبي العربي الذي يأتي بدين إبراهيم الحنيف يأتزر على وسطه ويغسل أطرافه، في عينيه حمرة وبين كتفيه ختم النبوة ليس بالقصير ولا بالطويل، يلبس الشملة ويجتزئ بالبلغة، يركب الحمار ويمشي في الأسواق، سيفه على عاتقه لا يبالي من لقي من الناس، معه صلاة لو كانت في قوم نوح ما أُهلكوا بالطوفان، ولو كانت في عاد ما أُهلكوا بالريح، ولو كانت في ثمود ما أُهلكوا بالصيحة، يولد بمكة وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وهو الحماد ويحمد الله شدة ورخاء، سلطانه بالشام وصاحبه من الملائكة جبريل، يلقى من قومه أذى شديداً ثم يدال عليهم ـ بمعنى: تكون له الدولة ـ ، فيحصدهم حصداً، تكون الواقعات بيثرب منها عليه ومنه عليها ثم له العاقبة، معه قوم هم أسرع إلى الموت من الماء من رأس الجبل إلى أسفله، صدورهم أناجيلهم وقربانهم دماؤهم، ليوث النهار رهبان الليل، يرعب عدوه مسيرة شهر، يباشر القتال بنفسه، ثم يخرج ويحكم لا شرط معه ولا حرس، الله يحرسه)[1].

* * *

---

(١) كتاب «المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل»، تاليف: الأستاذ الشيخ أبي الفضل المالكي المسعودي. نقلاً عن: «البرهان» للمستشار محمد عزت الطهطاوي، ص (٦٩ ـ ٧٠).

كعب الأحبار

يخبر عن صفات النبي ﷺ التي في التوراة

روى البخاري، عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ، فقلت: أخبرني عن صفات رسول الله ﷺ في التوراة.

فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظ، ولا غليظ، ولا صَخّاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً.

ورواه ابن جرير، وزاد: قال عطاء: فلقيت كعباً، فسألته عن ذلك؟ فما اختلفا في حرف.

قلت: وكان عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، وكان يحدث عنهما كثيراً.

وأمَّا كعب الأحبار، فقد كان من كبار علماء اليهود وأحبارهم، ثم شرح الله صدره للإسلام، وكان بعد إسلامه يحدث بصفات النبي ﷺ الموجودة في التوراة.

وقد روى ابن سعد في «الطبقات» عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه سأل كعب الأحبار: كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة؟

قال: «نجده محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره إلى طابة، ويكون ملكه بالشام، ليس بفحّاش ولا صخّاب بالأسواق، ولا يكافىء السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح».

وروى الدارمي عن أبي صالح، قال: قال كعب: نجد مكتوباً: «محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ، ولا صخّاب بالأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن

يعفو ويغفر، وأمته الحمادون يكبّرون الله على كل نجد ويحمدونه في كل منزلة، يأتزرون على أنصافهم، ويتوضئون على أطرافهم، مناديهم في جو السماء، صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء، لهم دوى كدوى النحل، مولده بمكة، ومهاجره بطابة، وملكه بالشام».

* * *

يهودي
ينذر اليهود بطلوع نجم النبي ﷺ

روى البيهقي وأبو نعيم، عن حسان بن ثابت، قال: إني لَغُلام ابن سبع سنين أو ثمان أعقل ما رأيت وسمعت، إذا بيهودي يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود، فاجتمعوا إليه ـ وأنا أسمع ـ فقالوا: ويلك مالك؟

قال: قد طلع نجم أحمد الذي يولد به في هذه الليلة.

* * *

يوشع اليهودي
يخبر بخروج النبي ﷺ وصفته

روى الحافظ أبو نعيم في «دلائل النبوة» عن مالك بن سنان، قال: جئت بني عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم ونحن يومئذٍ في هدنة من الحرب، فسمعت يوشع اليهودي يقول: أظل خروج نبي يُقال له: أحمد يخرج من الحرم، فقال له خليفة ابن ثعلبة الأشهلي كالمستهزئ به: ما صفته؟

فقال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يلبس الشملة، ويركب البعير، سيفه على عاتقه، وهذا البلد مهاجره.

قال مالك: فرجعت إلى قومي بنى خُدْرة وأنا يومئذٍ أتعجب مما يقول يوشع، فأسمع رجلاً منا يقول: ويوشع يقول هذا وحده؟ كل يهودِ يثرب يقولون هذا!!

قال مالك بن سنان: فخرجت حتى جئت بني قريظة فأجد جمعاً فتذاكروا النبي ﷺ فقال الزبير بن باطا: قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا لخروج نبي أو ظهوره، ولم يبق أحد إلا أحمد وهذا مهاجره.

***

يهودي يتعرَّف
على النبي ﷺ من خاتم النبوة

روى ابن سعد عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ بسند حسَّنه الحافظ ابن حجر في «شرح البخاري»، أنها قالت: كان يهودي قد سكن مكة، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال: يا معشر قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلم، قال: انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة أحمد الآخر، بين كتفيه علامة، فانصرفوا فسألوا، فقيل لهم: وُلِدَ لعبد الله بن المطلب غلام فسمَّاه جدّه محمَّداً، فالتقوا بعد من يومهم فأتوا اليهودي في منزله، فقالوا: علمنا أنه ولد فينا مولود؟ قال: أبعد خبرى أم قبله؟

قالوا: بل قبله.

قال: فاذهبوا بنا إليه. فخرجوا معه حتى دخلوا على أمه، فأخرجته إليهم فرأى الشامة في ظهره، فغشى على اليهودي ثم أفاق.

فقالوا: ويلك مالك؟

قال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل وخرج الكتاب من أيديهم، وهذا مكتوب، يقتلهم ويبز أحبارهم، فازت العرب بالنبوة، أفرحتم يا معشر قريش، أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق إلى المغرب.

* * *

زيد بن عمرو بن نفيل
يخبر باسم النبي ﷺ قبل بعثته

روى ابن سعد ـ أيضاً ـ عن عامر بن ربيعة، قال: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: أنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل، ثم من بني عبد المطلب، ولا أراني أدركه، وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه مني السلام، وسأخبرك ما نعته حتى لا يخفى عليك.

قلت: هلمَّ.

قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، وليست تفارق عينيه حمرة، وخاتم النبوة بين كتفيه، واسمه أحمد، وهذا البلد مولده ومبعثه، ثم يخرجه قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره، فإياك أن تخدع عنه، فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم، فكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون: هذا الدين وراءك وينعتونه بما نَعَتُّه لك. ويقولون: لم يبق نبي غيره.

قال عامر: فلما أسلمت، أخبرت رسول الله ﷺ قول زيد بن عمرو وأقرأته منه السلام، فرد ﷺ عليه السلام ورحَّم عليه وقال: **«قد رأيته في الجنة يسحب ذيولاً»**.

* * *

راهب نصراني
يخبر عن صفات النبي ﷺ

روى الطبراني والبيهقي في محادثة طويلة بين أمية بن أبي الصلت وأبي سفيان ابن حرب.

قال أمية: جئت هذا العالِم ـ راهباً نصرانياً ـ فسألته عن أشياء، ثم قلت: أخبرني هذا النبي الذي ينتظر؟

قال: هو رجل من العرب.

قلت: قد علمت أنه من العرب، فمن أي العرب هو؟

قال: من أهل بيت تحجه العرب.

قلت: وفينا بيت تحجه العرب.

قال: هو من إخوتكم من قريش، فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط، وخرج من يدي فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو أن أكون إياه، قال أبو سفيان: فإذا كان ما كان فصفه لي.

قال: رجل شاب حين دخل في الكهولة، بدو أمره يجتنب المظالم والمحارم، ويصل الرحم، ويأمر بصلتها، وهو محوج كريم الطرفين، متوسط في العشيرة، أكثر جنده من الملائكة.

قال أبو سفيان: فقدمنا مكة، فقضيت ما كان معي، ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجراً، فكنت بها خمسة أشهر ثم قدمت مكة، فبينا أنا في منزلي جاءني الناس يسلّمون عليَّ، ويسألون عن بضائعهم حتى جاءني محمد بن عبد الله وهند عندي تلاعب صبيانها، فسلّم عليَّ ورحَّب بي، وسألني عن سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته، ثم قام.

فقلت لهند: والله إن هذا ليعجبني، ما من أحد من قريش له معي بضاعة إلا

وقد سألني عنها وما سألني هذا عن بضاعته.

فقالت لي هند: أوَمَا علمت شأنه؟

فقلت وأنا فزع: وما شأنه؟

قالت: يزعم أنه رسول الله، فوقذتني وتذكّرت قول النصراني، فرجفت حتى قالت لي هند: مالك؟ فانتبهت. فقلت: إن هذا لهو الباطل، لهو أعقل من أن يقول هذا.

قالت: بلى والله إنه ليقولنَّ ذلك ويدعو إليه، وإن له لصحابة على دينه، فقلت: هذا هو الباطل.

قال: وخرجت، فبينا أنا أطوف بالبيت إذ بي قد لقيته فقلت له: إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير، فسأرسل من يأخذها ولست بآخذ منك فيها ما آخذ من قومي، فأبى عليَّ، وقال: إذن لا آخذهما.

قلت: فأرسل إليَّ بضاعته فأخذها وأخذت منه ما كنت آخذ من غيره.

قال أبو سفيان: فلم أنشب أن خرجت إلى اليمن، ثم قدمت الطائف فنزلت على أمية بن أبي الصلت، فقال لي: يا أبا سفيان.

قلت: ما تشاء، قال: هل تذكر قول النصراني؟ قلت: أذكره، وقد كان.

فقال: ومن؟ قلت: محمد بن عبد الله. قال: ابن عبد المطلب؟ قلت: ابن عبد المطلب. ثم قصصت عليه خبر هند، قال: الله يعلم وأخذ يتصبب عرقاً، ثم قال: يا أبا سفيان، لعلَّه؟ صفته لهي، ولئن ظهر وأنا حي لأطلبنَّ من الله عز وجل في نصره غدراً، قال أبو سفيان: ومضيت إلى اليمن فلم أنشب أن جاءني هنالك استهلاله، وأقبلت حتى نزلت على أمية بن أبي الصلت بالطائف، فقلت: يا أبا عثمان، قد كان من أمر الرجل ما قد بلغك وسمعته، فقال: قد كان لعمري، فقلت: فأين أنت منه يا أبا عثمان؟ فقال: والله ما كنت لأؤمن برسول من غير ثقيف أبداً. قال أبو سفيان: وأقبلت إلى مكة، فوالله ما أنا ببعيد حتى جئت مكة فوجدت أصحابه يُضربون ويُحقَّرون فجعلت أقول: فأين جنده من

الملائكة؟ فدخلني ما يدخل الناس من النفاسة.

وكان النبي ﷺ يذكر أمية بن أبي الصلت ويستنشد شعره؛ لما فيه من دلائل التوحيد والثناء على الله تعالى.

روى مسلم والإمام أحمد، عم عمر بن الشريد، عن أبيه، قال: كنت ردفاً لرسول الله ﷺ فقال لي: «**أمعك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟**» قلت: نعم، قال: «**فأنشدني**»، فأنشدته بيتاً، فلم يزل يقول لي كلما أنشدته بيتاً: «**إيه**»، حتى أنشدته مائة بيت، ثم قال رسول الله ﷺ: «**إن كاد يسلم**».

* * *

اليهود يدرسون ذكر
رسول الله ﷺ في كتبهم ويعلمونه الولدان

يحدثنا ابن سعد في طبقاته، عن بعض الأنصار: أن يهود بني قريظة كانوا يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم ويعلّمونه الولدان بصفته واسمه ومهاجره إلينا، فلما ظهر رسول الله ﷺ حسدوا وبغوا، وقالوا: ليس به.

وكان المشركون يَرون أن أهل الكتاب أعلم بهذا الشأن، فكانوا يسألونهم، وكان هؤلاء يخبرون بما عندهم.

روى ابن سعد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: بعثت قريش النضر ابن حارث بن علقمة، وعقبة بن أبي مُعَيْط وغيرهما إلى يهود يثرب. وقالوا لهم: سلوهم عن محمد، فقدموا المدينة، فقالوا: أتيناكم لأمر حدث فينا، منا غلام يتيم فقير يقول قولاً عظيماً، يزعم أنه رسول الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، قالوا: صفوا لنا صفته، فوصفوه لهم، قالوا: فمن تبعه منكم؟ قالوا: سفلتنا، فضحك حبر منهم، وقال: هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة.

وقال ابن إسحاق: وكانت الأحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهّان من العرب، قد تحدّثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لمّا تقارب من زمانه، أما الأحبار من يهود والرهبان من النصارى فعمّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه.

ثم بيّن ابن إسحاق عن جماعة من الأنصار ما كان يتحدّث به يهود يثرب عن رسول الله ﷺ وسبب بغيهم وحسدهم وإنكارهم ما كانوا يعلنونه ويتدارسونه من ذكره، فقال: وحدّثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه ما كنا نسمع من رجال يهود، كنّا أهل

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

شرك وأصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب وعندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يُبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإم، فكنا كثيراً ما نسمع منهم ذلك، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبنا حين دعانا إلى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت هذه الآية من البقرة:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[1].

قلت: وكان من هؤلاء اليهود من شرح الله صدورهم للإسلام، فآمنوا بالنبي ﷺ حين رأوه وعرفوا أنه الرسول الْمُبَشَّرُ به في التوراة، وكان من هؤلاء:

عبد الله بن سلام - رضي الله عنه -، وها هي قصة إسلامه:

* * *

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩. وانظر: «محمد رسول الله ﷺ»، للشيخ محمد الصادق عرجون (١/ ١٢٦ - ١٣٠).

عبد الله بن سلام

يشهد للنبي ﷺ بالرسالة

عبد الله بن سلام، هو: ابن الحارث، من بني قينقاع، وهم من ذرية يوسف الصديق، كان من حلفاء الخزرج من الأنصار، وكان من أحبار اليهود، وأسلم عندما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة.

يقول ـ رضي الله عنه ـ: لما قدم النبي ﷺ المدينة، انجفل الناس عليه[١]، وكنت فيمن انجفل، فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يقول: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[٢].

ثم جاء عبد الله بن سلام إلى رسول الله ﷺ وقال: أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بالحق، وقد علمت يهودُ أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ، فأرسل رسول الله ﷺ إليهم، فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يا معشر اليهود، ويلكم، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق فأسلموا**»، قالوا: ما نعلمه، قال: «**فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟**»، قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**»، قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم. قال: «**يا ابن سلام، اخرج عليهم**»، فخرج فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله ﷺ وأنه جاء بحق. فقالوا: كذبت. فأخرجهم رسول الله ﷺ »[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) «انجفل الناس عليه»: أي ذهبوا مسرعين نحوه.

(٢) صحيح. رواه: الإمام أحمد (٥/٤٥١)، والترمذي (٢٤٨٧)، وابن ماجه (١٣٣٤، ٣٢٥١).

(٣) رواه: البخاري (٧/ ٢٥٠).

● **رواية أخرى في قصة إسلام عبد الله بن سلام:**

عن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ قال: انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم: **«يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليهم»**.

قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد، ثم ردَّ عليهم، فلم يجبه منهم أحد، فقال: **«أبيتم، فوالله إني لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النبي المصطفى، آمنتم أو كذبتم»**.

ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج، فإذا رجل من خلفنا يقول: كما أنت يا محمد! فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفقه منك، ولا من أبيك قبلك، ولا من جدك قبل أبيك.

قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة.

فقالوا: كذبت! ثم ردوا عليه قوله، وقالوا فيه شراً، فقال رسول الله ﷺ: **«كذبتم، لن يقبل قولكم، أما آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، وأما إذ آمن فكذبتموه وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم»**[1].

قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ، وأنا، وعبد الله بن سلام، وأنزل الله تعالى فيه: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[2].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: إن عبد الله بن سلام وذويه إنَّما أسلموا في وقت شدة من الأمر وقلة من المسلمين وضعف وحاجة وأهل الأرض مطبقون على عداوتهم واليهود والمشركون هم أهل الشوكة والعدة والحلقة والسلاح، ورسول الله

---

(١) صحيح. رواه: الإمام أحمد (٦/ ٢٥)، والحاكم (٣/ ٤١٥ ـ ٤١٦)، وصححه ووافقه الذهبي.
(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٠.

ﷺ وأصحابه إذ ذاك قد أووا إلى المدينة، وأعداؤهم يتطلبونهم في كل وجه، وقد بذلوا الرغائب لمن جاءهم بهم، فخرج رسول الله ﷺ وصاحبه وخادمهما فاستخفوا ثلاثاً في غار تحت الأرض، ثم خرجوا بعد ثلاث على غير الطريق إلى أن قدموا المدينة، و الشوكة والعدد والعدة فيها لليهود والمشركين.

فأسلم عبد الله بن سلام حين مقدم النبي ﷺ المدينة، لما رأى أعلام النبوة التي كان يعرفها وشاهدها فيه، وترك الأغراض التي منعت المغضوب عليهم من الإسلام من الرياسة والمال والجاه بينهم، وقد شهدوا له كلهم عند رسول الله ﷺ أنه رئيسهم وخيرهم وسيدهم، فعلم أنهم إن علموا بإسلامه أخرجوه من تلك الرياسة والسيادة، فأحب أن يعلم رسول الله ﷺ بذلك، فقال: أدخلني بعض بيوتك وسلهم عني ففعل، وسألهم عنه فأخبروه أنه سيدهم ورئيسهم وعالمهم، فخرج عليهم وذكرهم وأوقفهم على أنهم يعلمون أنه رسول الله، وقابلهم بذلك، فسبُّوه وقدحوا فيه وأنكروا رياسته وسيادته وعلمه.

فلو كان عبد الله بن سلام ممن يؤثر عرض الدنيا والرياسة، لفعل كما فعله إخوان القردة وأمة الغضب والقوم البُهّت.

وهكذا، شأن من أسلم من اليهود حينئذٍ، وأما المتخلفون، فكثير منهم صرح بغرضه لخاصته وعامته، وقال: إن هؤلاء قد عظمونا ورأسونا ومولونا فلو اتبعناه لنزعوا ذلك كله منّا، وهذا قد رأيناه نحن في زماننا وشاهدناه عيانا .

ولقد ناظرت بعض علماء النصارى معظم يوم، فلما تبيّن له الحق بهت، فقلت له وأنا وهو خاليان: ما يمنعك الآن من اتباع الحق؟

فقال لي: إذا قدمت على هؤلاء الحمير ـ هكذا لفظه ـ فرشوا لنا الشقاف تحت حوافر دابتي وحكموني في أموالهم ونساءهم ولم يعصوني فيما آمرهم به، وأنا لا أعرف صنعة ولا أحفظ قرآناً ولا نحواً ولا فقهاً، فلو أسلمت لدُرت في الأسواق أتكفف الناس، فمن الذي يطيب نفساً بهذا؟!

فقلت: هذا لا يكون، وكيف تظن بالله أنك إذا آثرت رضاه على هواك

يخزيك ويذلك ويحوجك؟!

فلو فرضنا أن ذلك أصابك، فما ظفرت به من الحق والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه فيه أتم العوض عما فاتك، فقال: حتى يأذن الله، فقلت: القدر لا يحتج به، ولو كان القدر حجة، لكان حجة لليهود على تكذيب المسيح وحجَّة للمشركين على تكذيب الرسل، ولا سيما وأنتم تكذبون بالقدر، فكيف تحتج به؟!

فقال: دعنا الآن من هذا وأمسك[١].

* * *

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، ص (٢٣٠ ـ ٢٣١).

يهودي يدعو اليهود إلى الإيمان بالنبي محمد ﷺ واتّباعه

ذكر الحاكم وغيره: أن بني النضير لما أُجلوا من المدينة، أقبل عمرو بن سعد فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها، ففكر، ثم رجع إلى بني قريظة، فوجدهم في الكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا، فقال الزبير بن باطا: يا أبا سعد، أين كنت منذ اليوم فلم نرك؟ ـ وكان لا يفارق الكنيسة وكان عزيزاً في اليهودية ـ.

قال: رأيت اليوم عبراً اعتبرنا بها، رأيت إخواننا قد جلوا بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل، ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة، وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف في عزّة بنيانه في بيته آمناً، وأوقع بابن سنينة سيدهم، وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم وهم جل اليهود، وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة ـ حصرهم النبي ـ ﷺ ـ، فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم، فكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب ـ يا قوم، قد رأيتم ما رأيتم، فأطيعوني وتعالوا نتبع محمداً، فوالله إنكم لتعلمون أنه نبي وقد بشّرنا به وبأمره ابن الهيّبان وأبو عمرو بن حواس وهما أعلم اليهود، جاءا من بيت المقدس يتوكفان قدومه وأمرانا باتباعه وأمرانا أن نُقرئه منهما السلام، ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم، فأعاد هذا الكلام ونحوه وخوّفهم بالحرب والسباء والجلاء، فقال الزبير بن باطا: قد والتوراة قرأت صفته في كتاب التوراة التي أُنزلت على موسى ليست في المثاني التي أحدثنا، فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتّباعه؟ قال: أنت، قال: ولِمَ فوالتوراة ما حلت بينك وبينه قط؟ قال الزبير: بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فإنا اتبعته اتبعناه، وإن أبيت أبينا، فأقبل عمرو بن سعد على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك إلى أن قال كعب: ما عندي في ذلك إلا ما قلت، ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً[1].

❊ ❊ ❊

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، ص (٥٣ ـ ٥٤).

يهودي يخبر النبي ﷺ
عن صفته ومخرجه كما في التوراة

روى الإمام أحمد في «المسند» (٥/٤١١) بسند جيد، عن رجل من الأعراب، قال: جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ، فلما فرغت من بيعي، قلت: لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه.

قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون، فتبعتهم، حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها، يعزى بها على نفسه عن ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجملهم، فقال رسول الله ﷺ: **«أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل تجدني في كتابك ذا صفتي ومخرجي؟»**، فقال برأسه هكذا، أي: لا. فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة، إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فقال: **«أقيموا اليهودي عن أخيكم»**. ثم وَلِيَ كفنه والصلاة عليه.

* * *

يهودي آخر يخبر النبي ﷺ
عن صفته ومخرجه كما في التوراة

عن الفلتان بن عاصم، وذكر أن خاله قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ؛ إذ شخص بصره إلى رجل، فإذا يهودي عليه قميص وسراويل ونعلان. قال: فجعل النبي ﷺ يكلمه وهو يقول: يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «**أتشهد أني رسول الله؟**»، قال: لا، قال رسول الله ﷺ: «**أتقرأ التوراة؟**»، قال: نعم. قال: «**أتقرأ الإنجيل؟**»، قال: نعم، قال: «**والقرآن؟**»، قال: لا، ولو تشاء قرأته. فقال النبي ﷺ: «**فيم تقرأ التوراة والإنجيل، أتجدني نبياً؟**»، قال: إنا نجد نعتك ومخرجك، فلما خرجت رجونا أن تكون فينا، فلما رأيناك عرفناك أنك لست به.

قال رسول الله ﷺ: «**ولم يا يهودي؟**»، قال: إنا نجده مكتوباً: يدخل من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب. ولا نرى معك إلا نفراً يسيراً.

فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أمتي لأكثر من سبعين ألفاً**»[١].

وسؤال النبي ﷺ لليهودي عن صفته ونعته في التوراة ليس لشكه فيما أُنزل إليه من ربه ـ حاشاه من ذلك ـ وإنَّما قد يكون السؤال لغير ذلك، مثل: إقامة الحجَّة على المخالف بكلامه.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح. رواه: البغوي والبزار والطبراني والبيهقي وأبي نعيم، كما في «الخصائص الكبرى» (١/٣٨)، وابن حبان (٢١٠٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤٠٨): «رواه البزار ورجاله ثقات».

يهودي يعلن إسلامه
بين يدي النبي ﷺ بعد علمه بصفته في التوراة

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: إن الله عز وجل ابتعث نبيه ﷺ لإدخال رجل إلى الجنة، فدخل الكنيسة، فإذا بيهودي يقرأ عليهم التوراة، فلما أتوا على صفة النبي ﷺ أمسكوا، وفي ناحيتها رجل مريض، فقال النبي ﷺ: «**ما لكم أمسكتم؟**»، قال المريض: إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا، ثم جاء المريض يحبو، حتى أخذ التوراة فقرأ، حتى أتى على صفة النبي ﷺ وأمته، فقال: هذه صفتك وصفة أمتك، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ثم مات، فقال النبي ﷺ: «**لُوا أخاكم**»[1].

وروى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ مرَّ بمدارس اليهود، فقال لهم: «**يا معشر اليهود، أسلموا، فوالذي نفسي بيده، إنكم لتجدون صفتي في كتبكم**».

* * *

(١) صحيح. رواه: الإمام أحمد (١/٤١٦).

مناظرة

بين الإمام ابن القيم وكبير علماء اليهود

حول نبوة النبي ﷺ

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : قد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهـود بالعلم والرياسة، فقلت له في أثناء الكلام: أنتم بتكذيبكم محمداً ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة. فعجب من ذلك، وقال: مثلك يقول هذا الكلام!

فقلت: اسمع الآن تقريره، إذا قلتم: إن محمداً ملك ظالم قهر الناس بسيفه وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدَّعي أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة، ويقول: أمرني الله بكذا ونهاني عن كذا وأوحى إليَّ كذا، ولم يكن من ذلك شيء، ويقول: إنه أباح لي سبى ذراري من كذَّبني وخالفني ونساءهم وغنيمة أموالهم وقتل رجالهم، ولم يكن من ذلك شيء، وهو يدأب في تغيير دين الأنبياء ومعاداة أممهم ونسخ شرائعهم، فلا يخلو إما أن تقولوا: إن الله سبحانه كان يطَّلع على ذلك ويشاهده ويعلمه. أوْ تقولوا: إنه خفى عنه ولم يعلم به، فإن قلتم: لم يعلم به،نسبتموه إلى أقبح الجهل، وكان من علم ذلك أعلم منه، وإن قلتم: بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه، فلا يخلو إما أن يكون قادراً على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك أولاً، فإن لم يكن قادراً فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية، وإن كان قادراً وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ويعليه ويعلى كلمته، ويجيب دعاءه، ويمكنه من أعدائه، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له، فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء، فضلاً عن رب الأرض والسماء، فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه، وهذه عندكم شهادة

زور وكذب.

فلما سمع ذلك، قال: معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر، بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد.

قلت: فما لك لا تدخل في دينه؟

قال: إنَّما بعث إلى الأميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه.

قلت له: غلبت كل الغلب، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق، وإن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به، فأمسك ولم يحر جواباً.

وقريب من هذه المناظرة، ما جرى لبعض علماءالمسلمين مع بعض اليهود ببلاد المغرب. قال له المسلم: في التوراة التي بأيديكم إلى اليوم أن الله قال لموسى: «إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبياً مثلك أجعل كلامي على فيه، فمن عصاه انتقمت منه».

قال له اليهودي: ذلك يوشع بن نون.

فقال المسلم: هذا محال؛ من وجوه:

أحدها: أنه قال عندك في آخر التوراة: «أنه لا يقوم في بني إسرائيل نبي مثل موسى».

الثاني: أنه قال: «من إخوتهم»، وإخوة بني إسرائيل؛ إما العرب، وإما الروم. فإن العرب بنو إسماعيل، والروم بنو العيص، وهؤلاء إخوة بني إسرائيل، فأما الروم فلم يقم منهم نبي سوى أيوب، وكان قبل موسى فلا يجوز أن يكون هو الذي بشَّرت به التوراة. فلم يبق إلا العرب وهم بنو إسماعيل وهم إخوة بني إسرائيل، وقد قال الله في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب: «إنه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوته». وهم بنو إسرائيل، وهذه بشارة بنبوة ابنه محمد

الذي نصب فسطاطه وملك أمته في وسط بلاد بني إسرائيل وهي الشام التي هي مظهر ملكه كما تقدم من قوله: «وملكه بالشام».

فقال له اليهودي: فعندكم في القرآن: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ (١)، ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾(٢)، ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾(٣). والعرب تقول: يا أخا بني تميم للواحد منهم، فهكذا قوله: «أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم».

قال المسلم: الفرق بين الموضعين ظاهر، فإنه من المحال أن يقال: إن بني إسرائيل إخوة بني تميم، وبني هاشم وُخوة بني هاشم، هذا ما لا يعقل في لغة أمة من الأمم، بخلاف قولك: زيد أخو بني تميم، وهو أخو في النسب ولو قيل: عاد أخو عاد، وثمود أخو ثمود ومدين أخو مدين لكان نقصاً، وكان نظير قولك: «بنو إسرائيل إخوة بني إسرائيل»، فاعتبار أحد الموضعين بالآخر خطأ صريح.

قال اليهودي: فقد أخبر أنه سيقيم هذا النبي لبني إسرائيل، ومحمد إنَّما أقيم للعرب ولم يقم لبني إسرائيل، فهذا الاختصاص يشعر بأنه مبعوث إليهم لا إلى غيرهم.

قال المسلم: هذا من دلائل صدقه، فإنه ادَّعى أنه رسول الله إلى أهل الأرض كتابيهم وأميهم، وخص الله في التوراة على أنه يقيمه لهم لئلا يظنوا أنه مرسل إلى العرب والأميين خاصة، والشيء يُخص بالذكر لحاجة المخاطب إلى ذكره لئلا يتوهم السامع أنه غير مراد باللفظ العام ولا داخل فيه، وللتنبيه على أن ما عداه أولى بحكمه ولغير ذلك من المقاصد، فكان في تعيين بني إسرائيل بالذكر إزالة لوهم من توهم أنه مبعوث إلى العرب خاصة، وقد قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾(٤).

وهؤلاء قومه، ولم ينف ذلك أن يكون نذيراً لغيرهم. فلو أمكنك أن تذكر

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ٨٥ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٦٥ .
(٣) سورة هود ، الآية : ٦١ .
(٤) سورة السجدة، الآية: ٣.

عنه أنه ادَّعى أنه رسول إلى العرب خاصة، لكان ذلك حجَّة، فأما وقد نطق كتابه وعرف الخاص والعام بأنه ادَّعى أنه مرسل إلى بني إسرائيل وغيرهم، فلا حجَّة لك.

قال اليهودي: إن أسلافنا من اليهود كلهم على أنه ادَّعى ذلك، ولكن العيسوية منا تزعم أنه نبي العرب خاصة، ولسنا نقول بقولهم، ثم التفت إلى يهودي معه، فقال: نحن قد جرى شأننا على اليهودية، وتالله ما أدري كيف التخلص من هذا العربي؟، إلا أنه أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النهي عن ذكره بسوء[1].

❊ ❊ ❊

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، ص (١٧٩ ـ ١٨٢).

الخلاصة

قال ابن القيم - رحمه الله -: فالأخبار والبشارة بنبوته ﷺ في الكتب المتقدمة، عُرفت من عدة طرق:

*** أحدها:**

ما ذكرناه، وهو قليل من كثير وغيض من فيض.

*** الثاني:**

إخباره ﷺ لهم أنه مذكور عندهم وأنهم وُعِدُوا به وأن الأنبياء بشّرت به، واحتجاجه عليهم بذلك، ولو كان هذا الأمر لا وجود له البتة، لكان مغرياً لهم بتكذيبه منفراً لاتباعه، محتجاً على دعواه بما يشهد ببطلانها.

*** الثالث:**

أن هاتين الأمتين معترفتان بأن الكتب القديمة بشَّرت بنبي عظيم الشأن يخرج في آخر الزمان، نعته كيت وكيت، وهذا مما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى.

فأمَّا «المسلمون»: فلما جاءهم آمنوا به وصدَّقُوه وعرفوا أنه الحق من ربهم.

وأمَّا «اليهود»: فعلماؤهم عرفوه وتيقَّنُوا أنه محمد بن عبد الله. فمنهم من آمن به، ومنهم من جحد نبوته، وقالوا لأتباعه: إنه لم يخرج بعد.

وأمَّا «النصارى»: فوضعوا بشارات التوراة والنبوات التي بعدها على المسيح، ولا ريب أن بعضها صريح فيها، وبعضها ممتنع حمله عليه، وبعضها محتمل.

وأمَّا بشارات المسيح، فحملوها كلها على الحواريين، وإذا جاءهم ما يستحيل انطباقه عليهم، حرَّفُوه أو سكتوا عنه، وقالوا: لا ندري مَن المراد به؟!

*** الرابع:**

اعتراف من أسلم منهم بذلك، وأنه صريح في كتبهم، وعن المسلمين

الصادقين منهم تلقى المسلمون هذه البشارات، وتيقّنوا صدقها وصحتها بشهادة المسلمين منهم بها، مع تباين أعصارهم وأمصارهم وكثرتهم واتفقاهم على لفظها.

وهذا يفيد القطع بصحتها، ولو لم يقر بها أهل الكتاب، فكيف وهم مقرُّون بها لا يجحدونها وإنّما يغالطون في تأويلها والمراد بها؟!

وكل واحد من هذه «الطرق الأربعة» كاف في العلم بصحة هذه البشارات، وقد قدمنا أن إقدامه ﷺ على إخبار أصحابه وأعدائه بأنه مذكور في كتبهم بنعته وصفته وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وتكراره ذلك عليهم مرة بعد مرة في كل مجمع وتعريفهم بذلك وتوبيخهم والنداء عليهم به من أقوى الأدلة القطعية على وجوده، من وجهتين:

أحدهما:

قيام الدليل القطعي على صدقه.

الثاني:

دعوته لهم بذلك إلى تصديقه، ولو لم يكن له وجود، لكان ذلك من أعظم دواعي تكذيبه والتنفير عنه.

وهذه الطرق يسلكها من يساعدهم على أنهم لم يحرفوا ألفاظ التوراة والإنجيل ولم يبدلوا شيئاً منها فيسلكها بعض نظار المسلمين معهم من غير تعرض إلى التبديل والتحريف.

وطائفة أخرى تزعم أنهم بدّلوا وحرّفوا كثيراً من ألفاظ الكتابين، مع أن الغرض الحامل لهم على ذلك دون الغرض الحامل لهم على تبديل البشارة برسول الله ﷺ بكثير.

وإن البشارات؛ لكثرتها، لم يمكنهم إخفاؤها كلها وتبديلها ففضحهم ما عجزوا عن كتمانه أو تبديله.

وكيف ينكر من الأمة الغضبية قتلة الأنبياء الذين دموهم بالعظائم أن يكتموا نعت رسول الله ﷺ وصفته وقد جحدوا نبوة المسيح ورموه وأمه بالعظائم ونعته

والبشارة به موجود في كتبهم؟

ومع هذا أطبقوا على جحد نبوته وإنكار بشارة الأنبياء به، ولم يفعل بهم ما فعله بهم محمد ﷺ من القتل والسبى وغنيمة الأموال وتخريب الديار وإجلائهم منها، فكيف لا تتواصى هذه الأمة بكتمان نعته وصفته وتبدله من كتبها؟

وقد عاب الله ـ سبحانه ـ عليهم ذلك في غير موضع من كتابه ولعنهم عليه.

ومن العجب، أنهم والنصارى يقرُّون أن التوراة كانت طول مملكة بني إسرائيل عند الكاهن الأكبر الهاروني وحده، واليهود تقرّ أن السبعين كاهناً اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة، وذلك بعد المسيح في عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم حيث زال الملك عنهم ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم، ومن رضى بتبديل موضع واحد من كتاب الله، فلا يؤمن منه تحريف غيره، واليهود تقرّ أيضاً أن السامرة حرَّفُوا مواضع من التوراة وبدَّلُوها تبديلاً ظاهراً وزادوا ونقصوا، والسامرة تدَّعي ذلك عليهم.

وأمَّا «الإنجيل»: فقد تقدَّم[1] أن الذي بأيدي النصارى منه، أربعة كتب مختلفة من تأليف أربعة رجال: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا. فكيف ينكر تطرق التبديل والتحريف إليها؟

وعلى ما فيها من ذلك، فقد صرفهم الله عن تبديل ما ذكرنا من البشارات بمحمد بن عبد الله ﷺ وإزالته، وإن قدروا على كتمانه عن أتباعهم وجهَّالهم!!

❊ ❊ ❊

---

(١) لقد تحدَّث ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن حقيقة الاناجيل الأربعة وكيفية تحريفها وتبديلها، وذلك في كتابه القيم «هداية الحيارى» فارجع إليه إن شئت.

(٢) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، ص (٢٠٥ ـ ٢٠٨).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
* مقدمة	٥
* الباب الأول: أسماء النبي ﷺ ومعانيها	٧
- محمد	١٠
- أحمد	١٥
- الماحي	١٨
- الحاشر	١٩
- العاقب	٢٠
- المقفى	٢١
- نبي التوبة	٢٢
- نبي الملحمة	٢٣
- نبي المرحمة	٢٤
- الفاتح	٢٤
- الأمين	٢٤
- الضحوك القتّال	٢٥
- البشير	٢٥
- السراج المنير	٢٦
الباب الثاني: بشارة التوراة بالنبي ﷺ	٢٩
- قول العلامة السموأل بن يحيى	٣١
- الإشارة إلى اسمه ﷺ في التوراة	٣٣
- ذكر الموضع الذي أشير فيه إلى نبوة الكليم والمسيح والمصطفى عليهم السلام	٣٥
* الباب الثالث: بشارة الإنجيل بالنبي محمد ﷺ	٥١
- أبحاث الأستاذ زكي الدين النجار بطهطا ولفظ «أحمد»	٥٨

الموضوع	الصفحة

- إنجيل برنابا يصرح باسم النبي محمد ﷺ ٥٩
أ ـ النسخة الإيطالية. ٦٠
ب ـ النسخة الإسبانية. ٦١
- سبب تأليف هذا الإنجيل. ٦٤
- ورود اسم «أحمد» و«محمد» في بعض أسفار الأنبياء الملحقة بالتوراة ٦٦

* **الباب الرابع: إخبار أهل الكتاب ومُتَحَنِّفَة العرب بمولد محمد ﷺ وبعثته** ٧٣

- الراهب بحيرا ٧٤
- يهودي يخبر بقرب ظهور النبي ﷺ ٧٦
- ابن الهيَّبان اليهودي يخبر بقرب بعثة النبي ﷺ ٧٧
- النجاشي ملك الحبشة يشهد للنبي ﷺ بالرسالة وأنه الرسول الذي بشّر به عيسى ابن مريم ٧٨
- هرقل ملك الروم يشهد للنبي ﷺ بالرسالة ٨٠
- راهب نصراني يخبر سلمان الفارسي بقرب ظهور النبي ﷺ ويصفه له ٨٢
- يهودي يخبر باسم النبي ﷺ وصفاته التي في توراة بني هارون ٨٩
- كعب الأحبار يخبر عن صفات النبي ﷺ التي في التوراة ٩٠
- يهودي ينذر اليهود بطلوع نجم النبي ﷺ ٩٢
- يوشع اليهودي يخبر بخروج النبي ﷺ وصفته ٩٣
- يهودي يتعرف على النبي ﷺ من خاتم النبوة ٩٤
- زيد بن عمرو بن نفيل يخبر باسم النبي ﷺ وصفته قبل بعثته ٩٥

الموضوع | الصفحة

- راهب نصراني يخبر عن صفات النبي ﷺ ٩٦
- اليهود يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم ويعلمونه الولدان ٩٩
- عبد الله بن سلام يشهد للنبي ﷺ بالرسالة ١٠١
- رواية أخرى في قصة إسلام عبد الله بن سلام ١٠٢
- يهودي يدعو اليهود إلى الإيمان بالنبي محمد ﷺ واتِّباعه ١٠٥
- يهودي يخبر النبي ﷺ عن صفته ومخرجه كما في التوراة ١٠٦
- يهودي آخر يخبر النبي ﷺ عن صفته ومخرجه كما في التوراة ١٠٧
- يهودي يعلن إسلامه بين يدي النبي ﷺ بعد علمه بصفته في التوراة ١٠٨
- مناظرة بين الإمام ابن القيم وكبير علماء اليهود حول نبوة النبي ﷺ ١٠٩

* الخلاصة ١١٣
* الفهرس ١١٩

* * *